الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

المعتقدات الشعبية في طب الأطفال

مذكرة ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في الأدب العربي تخصص أدب شعبي

إعداد الطالبة:

هنية عوينات

إشراف:

الدكتور أحمد زغب

السنة الجامعية: 1435 ـ 1436هـ / 2014 ـ 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

لا يسعني وأنا بصدد وضع اللمسات الأخيرة لهذا العمل إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وأسمى عبارات التقدير إلى الدكتور **عادل محلو** على دعمه لي ووقوفه معي في ظروفي الصعبة وأسأل الله أن يجعل عمله هذا في ميزان حسناته.

كما لا أنسى الدكتور **أحمد زغب** على قبوله الإشراف على المذكرة رغم ضيق الوقت.

كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة الذين قبلوا وتحملوا عناء قراءتها وتمحصها ومناقشتها.

كما لا ننسى الروّاة على المعلومات التي أثرت هذا البحث وكانت مادة أساسية.

وأخيرا أسدي عبارات العرفان إلى كل شخص مد لي يد المساعدة لإنجاز هذه المذكرة.

الطالبة: هنية عوينات

مقدمة

مقدمة

إن المعتقدات الشعبية كثيرة ومتنوعة فمنها معتقدات حول الصحة والمرض، والحياة والموت والزواج والطلاق والحمل والولادة ....وغيرها من الموضوعات التي تشكل حياة أي مجتمع من المجتمعات

وتتفاعل هذه المعتقدات الشعبية مع الطب الشعبي ولا ينفصل بعضها عنه، فالفنون الشعبية تتداخل مع العلاج الشعبي، والعلاج يتداخل بدوره مع الدين، وهذا يتفاعل مع بقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

وبناءا على ما تقدم، يمكننا الحديث عن أهميته الموضوع الذي اخترناه لبحثنا والذي يحمل العنوان الآتي:

"**المعتقدات الشعبية في طب الأطفال**" ولعل أهمية هذا الموضوع تتمثل ف الحفاظ على ذلك الموروث الشفاهي المحفوظ ف صدور الجدّات ومعرّض للموت مع موتهن وتلك المعارف والمعتقدات والعادات والتقاليد الشعبية التي تعد فرعا من فروع علم الفلكلور، والتي كان مصيرها سيؤول إلى الزوال والاندثار لو لا حرص السابقين عليها من الضياع.

فالمعتقدات الشعبية موضوع جدير بالدراسة، فهي تعد من الموروثات التي احتلت عقول الناس، وشغفت بها نفوسهم وأضحى التسليم بها والخضوع لحكمها من المسلمات والبديهيات التي لا يمكن أن يرقى إليها الشك، وأخذت هذه المعتقدات بسبلها إلى قلوب الناس الخاصة منهم والعامة، منذ بداية عمرها الطويل في تعاقب الأجيال وتداول الأزمنة حتى رسخت في الوعي وأصبحت جزءا هاما من الوجدان الشعبي.

وتتلخص الإشكالية الرئيسية للموضوع في كيفية استثمار الخبرة الشعبية المتراكمة عبر الأجيال في التعامل مع المولود والطفل؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من الإشكاليات الفرعية وهي: ما هي أهم الممارسات والطقوس التي ترافق الطفل منذ ولادته؟ وكيف نفهم تلك الممارسات والسحرية والعلاجية المترتبة عن تلك الأمراض؟ وكيف كانت هذه الأمراض تعالج في خبرة الأجداد؟.

ومن أبرز الدوافع التي دفعتني إلى الغوص في غمار الموضوع هي عاطفة الأمومة التي تشعر بها أي أم في العالم ورغبتها الملحة في اكتشاف عالم الطفل عند أول طفل يرتمي بين أحضانها. ومن الدوافع تلك التي ساقتني لاختيار الموضوع هو الحرص على كشف ما وراء الستار ونثر ذلك الغبار عن تلك العادات والتقاليد التي مارستها جدّاتنا وأمهاتنا في تربية أطفالهن قديما وإن كانت الممارسة الفعلية لهذه التقاليد قد

انعدمت في يومنا هذا وكذلك عامل الجدّة الذي يتميز به لموضوع الدراسة. وقد تناولت الدراسات السابقة البعض من المراحل في حياة الطفل، والتي لا يستطيع الباحث فيها أن يفصله عن أمه. فالطفل يظل مرتبطا بأمه في مرحلة الحمل وفي الولادة والرضاع ...إلخ، وفي هذا السياق أشير إلى تلك الدراسات التي تناولت عالم الطفل ومنها الدكتور محمد الجوهري الذي اهتم بدراسة الطفل في كتابه الطفل والتنشئة الاجتماعية وكذلك نضال فخري طه والذي تضمنت مذكرته الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي على طقوس الحمل والولادة وكذلك مذكرة بوحبيب حميد والذي تناول في دراسته الحمل وأهم المحطات الرئيسية للطفل في طفولته.

أما عن المصادر والمراجع التي عرفت منها مادة الموضوع فهي كثيرة ومتنوعة وكانت أغلبها من المقابلات الشخصية التي أجريت مع العجائز اللواتي يمتلكن خبرة في مجال الموضوع، بالإضافة إلى بعض الكتب ومنها الطفل والتنشئة الاجتماعية وكذلك كتاب محمد المرزوقي "مع البدو في حلهم وترحالهم" وكذلك كتاب أحمد السعيد اليونس "العادات الشعبية في طب الأطفال" وغيرها من الكتب التي أثرت الموضوع بالكثير من المعلومات الهامة.

أما الدراسة فقد قسمتها إلى مدخل تمهيدي وفصلين أساسيين وملحق صنفت فيه مجموعة من الصور التي دعمت موضوع الدراسة وخاتمة ففي المدخل التمهيدي تناولنا فيه دراسة المعتقدات الشعبية كما أشرنا فيه إلى مفهوم الطب الشعبي وليس المقصود منه الإحاطة بكل جوانب الميدان ولكن المفهوم والتعريف، وذلك لخلق الألفة مع تلك الأمراض التي تصيب الطفل وكيفية علاجها بالطب الشعبي، كما أشرنا إلى تلك المكانة التي يتبوأها الطفل في كثير من شعوب العالم.

أما الفصل الأول فتناولنا فيه دراسة العادات والتقاليد المتعلقة بالمولود حينا ورضيعا ثم إلى تسميته وطقوس الاحتفال به وانتقلنا بعدها إلى المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل بكل تطوراتها في مرحلة الطفولة وبعدها تعرضنا إلى العادات والتقاليد المراعية في تنشئته وثم إلى هدهدة الطفل والغناء له وبعدها انطلقنا إلى أهم مرحلة في طفولته وهي الختان.

وقد خصصنا الفصل الثاني لدراسة أمراض الطفولة وأهم الممارسات العلاجية في علاجها. وقد انطلقنا في بداية الفصل من الممارسات العلاجية الشعبة ثم تعرضنا إلى المختصين بالعلاج الشعبي في الأمراض التي يتعرض لها الطفل وبعدها عرجنا إلى الطرق والأساليب الشعبية في الممارسات العلاجية، ثم

إلى الطقوس المشهورة بالعلاج السحري ثم انتقلنا إلى الأمراض التي يتعرض لها الطفل في مرحلة الطفولة واختتمنا الفصل الثاني بتجليات الطب الشعبي والطفل في الأمثال الشعبية.

أما الخاتمة فقد سجلنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، ودعمنا البحث بملحق تضمن مجموعة من الصور الخاصة بالطفل وبعض الأعشاب النباتية التي تستعمل في العلاج.

ولقد اقتضت طبيعة الموضوع القائم على دراسة المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل أن يستعين الباحث فيه بأكثر من منهج، غير أن المنهج الأساسي الذي اعتمد في دراسة الفصلين هو المنهج الوصف التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة بكل عناصرها وحيثياتها، كما اقتضت طبيعة الموضوع الاستعانة بالمنهج النفسي في جزئية من جزئيات الدراسة وهي هدهدة الطفل والغناء له، فالباحث فها يكشف عن مشاعر العطف والحنان التي يفيض بها كل قلب أم حنون.

وقد واجهتنا خلال إنجاز هذا البحث الصعوبات تمثلت فيما يلي:

- صعوبة الإلمام بكل جوانب الموضوع نظراً لاتساعه وتنوعه.
- صعوبة الحصول على الممارسين العلاجين، وكذلك تحفظهم عن بعض المعلومات التي تخص دراسة البحث وامتناعهم عن الإدلاء بها.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مدَّ لنا يد العون في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، وأخص بالذكر أستاذي الكريم الدكتور أحمد زغب رئيس مشروع دفعتنا في تخصص الأدب الشعب الجزائري، وكذلك الدكتور عادل محلو الذي أمدنا بتوجيهاته وآرائه، كما لا يفوتنا أن نشكر أمهاتنا وآبائنا الذين أمدونا بما في جعبتهم من خبرات ومعلومات. ونأمل أن يجد الباحثون في هذا الجهد ما يضيف إلى مكتبة الأدب الشعبي شيئا يستفيد منه الدارس، فهذا جهدي واجتهادي فإن أصبت فذلك بفضل الله تعالى، علني وإن كان غير ذلك فحسبي إني اجتهدت وعسى أن أوفق في بحوث أخرى.

مدخل لدراسة الموضوع

مدخل لدراسة الموضوع

مفهوم المعتقدات الشعبية

الطفل في الثقافة الشعبية

مفهوم الطب الشعبي

مفهوم المعتقدات الشعبية:

المعتقد لغة: "وهو في الأصل عَقَدَ والعَقْدُ نقيض الحَلُ، وعَقَدَهُ يعقُدُه".

وانْعَقَدَ وعَقَّدَ والمعَاقِدُ مواضع العُقْدُ، والعقيدُ المعَاقِدُ والعُقدَةُ حجم العِقْدِ والجمْعُ عُقَدْ، وخيوط مُعَقَدَة، والمعقَادُ خيط ينظم فيه خرزات ويُعلق في عنق الصبي، واعتَقَدَهُ عصَّبه به، وفي الحديث الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ، أي ملازم لها، كأنه معقود فيها[1].

المعتقد في الاصطلاح:

ويعرفه فراس السواح في كتابه دين الإنسان: "أنه أول أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني، ويبدو أن توصيل الخبرة الدينية إلى تكوين معتقد هو حاجة سيولوجية ماسة لأن المعتقد هو الذي يعطي للخبرة الدينية شكلها المعقول"[2].

أما غوشاف لوبون فيعرف المعتقد بأنه: "إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان على تصديق فكر أو رأي، أو تأويل، أو مذهب جزاف"[3].

ويذكر محمد الجوهري تعريفا آخر للمعتقدات فيقول: "هي تلك الأفكار والأحاسيس التي تحرك الناس إزاء الظواهر الطبيعية العادية والشاذة كتصورات الناس عن الزلازل والبرق والخسوف... الخ، وكذلك تصورات الناس عن أسرار بعض الظواهر الفيزيقية والنفسية كالأحلام والنوم والميلاد والولادة والخلاص والموت وروية المستقبل.[4]

فالمعتقد إذن هو اعتقاد الناس وشعورهم بوجود قوى خفية وكائنات فوق طبيعية، وهذه القوى هي طاغية على الكون ومسيطرة عليه وهي مسؤولة عن الأخطار التي تحدث للإنسان كالبرق والزلازل والرعد ... إلخ، فيشعر هذا الأخير بالضعف والخوف اتجاه هذه القوى الخفية ويكبر هذا الشعور والإحساس حتى يتحول إلى فكرة ما مثل آلهة الخير وآلهة الشر، فالإحساس في البداية يولد فكرة ويجسدها الإنسان في واقع موضوعي أسطوري.

والمعتقدات كثيرا ما تعود إلى جذور دينية سواء أكان الدين الرسمي المعترف به اجتماعيا (الإسلام عندنا) أم إلى ديانات قديمة قد انهارت وبقيت المعتقدات تمثل رواسب ثقافية.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج9، 1419-1999، ط 3، ص317.

[2] – فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين، دمشق، 2002، ط4، ص 47.

[3] – غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات، تر: عادل زعيتر، كلمات عربية للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، ص18.

[4] – محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب، القاهرة، ج1، 1978 ، ط1، ص45.

ومن خلال ما سبق ذكره نستخلص تعريف للمعتقدات الشعبية: فهي كل ما يؤمن به الفرد أو الجماعة فيما يتعلق بتلك التصورات حول الحياة والوجود والعالم الخارجي والقوى الخفية والمسيطرة أو المتحكمة في تسيير الحياة الكونية، وقد تكون هذه المعتقدات قد انبعثت من نفوس أبناء شعب من الشعوب، وذلك عن طريق الكشف أو الرؤيا أو الإلهام، أو أنها كانت أصلا معتقدات دينية إسلامية أو مسيحية أو غير ذلك ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكائن على مدى الأجيال، وكذلك التراكم الاجتماعي للعادات والتقاليد والأفكار. وبذلك تصبح المعتقدات الشعبية صفة أساسية في المجتمعات وهي ذات قوة آمرة قاهرة فهي تأمر في حالة الإيجاب وتقهر في حالة السلب.

الطفل في الثقافة الشعبية:

تحتفل الثقافة الشعبية في كل مجتمعات العالم بالطفل احتفالا خاصا، ولا عجب في هذا، فالطفل هو بداية الحياة وهو في ميلاده وفطامه ونموه رمز حي متجدد لتجدد هذه الحياة. وتنسج الثقافة الشعبية حول حمله وميلاده وحمايته من الأرواح الشريرة والكائنات الغيبية آلاف الممارسات أو المعتقدات حتى تضمن بقاءه ووجوده في هذه الحياة[1].

فالطفل أيضا له نصيب من الطقوس والعادات والتقاليد المتعارف عليها في مجتمعه، وتهتم العائلة أيضا اهتماماً بالمرأة الحامل، وتقوم بإجراء العديد من الطقوس والممارسات التي تحفظها هي وحملها من اعتقادات كامنة بأن هناك قوى غيبية مرتبطة بها وتعمل جاهدة على إلحاق الضرر بها وبحملها أو وليدها.

ومن أهم العادات والتقاليد التي تصاحب الطفل حين ولادته احتفالية الأسبوع وكذلك بلوغه الأربعين. وأيضا عند بداية مشيه وكذلك عند ظهور أول سن في فمه وغيرها من البدايات الأخرى التي يبدأ الصغير بتعلمها.

وأغلب المجتمعات تؤكد أهمية الإنجاب وبخاصة الذكور فرب العائلة وزوجته حريصان على أن يكبر حجم الأسرة وتقوى شوكتها ويحقق لها العزوة بإنجاب العدد الأكبر من الذكور، وبذلك ترقي مكانتها الاجتماعية. فتأخر الحمل أو عدم الإنجاب يمثل للعائلة مشكلة عويصة في حرمانها من تحقيق أملها في النماء مستقبلا، وتبث حام غضبها على تلك الزوجة العقيم وقد يلجأ الزوج إلى طلاقها أو الزواج عليها بامرأة أخرى من أجل الإنجاب وكذلك الحال بالنسبة للمرأة التي تنجب الإناث، فبعض الرجال لا يرضون بهذه النعمة التي منحهم الله إياها ويسلطون كل التهم اتجاه المرأة بغض النظر عن الرجل بكونه هو المسؤول عن هذه الإشكالية، ففي الدراسات العلمية الحديثة أثبتت أن المرأة ليس لها أي ذنب في هذا الأمر وإنما الرجل هو المسؤول عن هذا الشيء، وقد يلجأ أغلب الرجال

[1] –ينظر: دعاء صالح إبراهيم، احتفالية سبوع الطفل الكنزي، دراسة ميدانية بكلا بشة، مجلة أطلس، المأثورات الشعبية، الهيئة لقصور الثقافة، ع 3 سبتمبر 2013.

في هذه الحالة إلى الزواج مرة أخرى من أجل خلفة الذكور، وأهم خبرٍ يترقبه أفراد الأسرة بمجرد أن تضع الوالدة طفلها هو جنس المولود ذكرًا أم أنثى، وقد تعطي بعض المجتمعات للمرأة الخصبة مكانة مرموقة وترفع من شأنها في عائلتها، وتزداد هذه المكانة عند وضعها مولودا ذكرًا[1].

وهناك ما يدل على قيمة الطفل في مجتمعه وذلك من خلال الأمثال الشعبية التي تمدح المرأة الولود، وأيضا الأمثال التي تميز بين الفئة التي ترغب في إنجاب الذكور والفئة التي ترغب في إنجاب الإناث ومن هذه الأمثال نذكر ما يلي:

"لما قالوا ده غلام انشد ظهري واستقام، ولما قالوا دي بنية شمتت الأعداء فيه.

أخير الناس إلي ينكر بالبنت.

اللي يسعد زمانها تجيب بناتها قبل صبيانها.

أم واحدة ربنا محيرها وأم عشرة ربنا مدبرها"[2].

"عام الإناث مشكور وعام الذكور منكور.

"المعيز ولا الفقر، البنوت ولا العقر"[3].

"هنيتك يا العاقر وإنت ما هنيت روحك.

تجيب ويموت ولا عاقر صموت "[4].

ويزخر التراث الشعبي بكثير من الأغاني التي تقال في شأن الأطفال ومنها نذكر قصة المرأة العاقر التي مضى على زواجها تسعة سنوات وهي لم تحض بشيء فظلت تحت رحمة الناس وشفقتهم تارة وتحت تهديدات زوجها وأمه بطلاقها تارة أخرى، وذات يوم سمعت كلام إحدى النساء عن الصرغين الذي تأكل المرأة العاقر فتحضى بالإنجاب، وبعدها أخذت الصرغين وعجنته بالماء الدافئ وأكلته لمدة ثلاثة أيام متوالية عرد كل صباح وبعد مرور أيام أصبحت المرأة حاملا فأنشدت أبيات شعرية تقول فيها ما يلي:

[1] – محمد الجوهري، وعلياء شكري وآخرون، الطفل والنشأة الاجتماعية، القاهرة، 2008، ص4-9.

[2] – المرجع نفسه، ص10.

[3] – مقابلة شخصية مع نجاة شراحي، 38 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة، 11-02-2013، 20:30.

[4] – مقابلة شخصية مع خضرة شراحي، 68 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة، 16-02-2013، 16:20.

يَا رَبِّي كَمِلْ عَلَيَّا يَا رَبِّي كَمِلْ عَلَيَّا
يَا رَبِّي كَمِلْ عَلَيَّا يَخَلِصْ رَاسِي وَعِينِي حَياَ
رُوحِي ضِاقت ثرت نغني ماذا من كلام وصلني
حتّى مِنْ وَالدِي عَايَرْنِي وعَيَاره سَمَعْتَه بُوِذْنَيَا
قَلَتْ ياَمَاجعِي وياَدَرْكِي كي نتفكر نقعد نبكي
الله لاَ يحَوِجْ وَالِدْتِي ولا يِذَوِقْهَا ليعه فيا
إن شَاء الله في حُطُوطِي تَحْضَرْلِي وتَكَمَلِي بِشَهويا
الليلة لِي جِبْتِك فِيها سَعِيدة رَبِّي عِنْدَه لا مَا يَكِيدَه
لا يشيجِني في طَبِينَة ولا يحمل غَاشِي عَلَيَّا
دَزُو لِي لْغَاشيه وَ وِرِيدَه يَفَرْحُولِي بلا مِزِيَة
الحمدوُله حِزَامِي عَمَرْنِي جِبْتَه وِلِيدِ مَا هُوشِ بَنَيَا
أم قالوا القَفَل اسند عَاقَر ما عِدْهَا حَدْ
يا سَعْدِي جِبْتَه وِلَدْ ورَضَعْتَه ما بِين زُكْبَيَا
أُسْكُتْ أُسْكُتْ يَا وَنَاسِي لما يُصْبُرْشِي ما يَلْقَاشِي
حَدِيث النَاسْ ما يَحِسَاشِي وما نَعَمَرْشِي به وُذْنَيَا
الحَايِرْ عَنِي هَنِيتَه والْمَيِتْ فِي الحُوشْ حَيِّيْتَه
نَايَ حَيَا يَعْطِينِي وكَانْ مُتْ يَصَدَّقْ عَلَيَّا[1]

[1] – مقابلة شخصية مع خديجة الفار، 80 سنة، حي الشرقية حاسي خليفة، 21-03-2013، 11:00.

مفهوم الطب الشعبي:

أ –مفهوم الطب:

الطب لغة: "الطب هو علاج الجسم والنفس، رجل طب وطبيب: عالم بالطب والمتطيب الذي يتعاطى علم الطب، وإذا كنت ذا طِب طب لنفسك أي إبدأ أولا باصلاح نفسك. والطب الرفق، والطبيب الرفيق، والطب والطبيب الحاذق من الرجال الماهر بعلمه، وكل حاذق بعلمه طبيب عند العرب، وبه سمى الطبيب الذي يعالج المرضى، وفي رواية سبويه: أسحر كان طِبَّك، وقد طُبَّ الرجل والمطبوبُ المسحور، وقد سمي السحر طِبًا على التفاءل بالبُرء..."[1].

الطب اصطلاحا: الطب من العلوم البديهية التي لا يستغني عنها البشر، والاختلاف في أمر الطب هو في كيفية العلاج لا في أهميته، ولذلك نجد العرب تداوي بأساليب مجربة كاستعمال الكي والتداوي بالأعشاب وصولا إلى الاستعانة بالسحر والشعوذة[2].

ب –مفهوم الشعبي:

الشعب لغة: "هو من مادة (ش،ع،ب)، الشعبُ: الجمعُ، والتفريقُ، والإصلاحُ، والإفسادُ والشعبُ القبيلة العظيمة، وقيل الحي العظيم بتشعب من القبيلة، وقيل هو القبيلة نفسها والجمع شعوب والشعب أبو القبائل التي ينتسبون إليه، أي يجمعهم ويعظمهم" [3]، وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[4].

الشعب اصطلاحا: هو مجموعة من الناس تختلف طوائفهم وطبقاتهم مجتمعين أو متفرقين .ومنه من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي لكلمة شعب نرى أنها حملت معنى مضادا هو الجمع والتفريق، فمجمل القول أن مدلول كلمة شعب مرادفة للجمع والتفرق والتباعد والانتشار والتوزع والخلود"[5].

---

[1] – ابن منظور ، لسان العرب، مادة (طبب) ، ج8، ص111-112.

[2] – جمال محمد حمودي، تمثلات المجتمع الجزائري لمرض السرطان، المركز الاستشفائي الجامعي لتلمسان نموذجا، مقاربة أنثروبولوجية طبية رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2005-2006، ص44.

[3] – المرجع السابق، مادة (شعب)، ج7، ص127.

[4] – سورة الحجرات، الآية 13.

[5] – مرسي الصباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 1999، ص08.

مصطلح الشعبي: ومن خلال ما تقدم فإن "كلمة (شعبي) عندما نطلقها على أي شيء لابد أن يتسم هذا الشيء بالانتشار أولا ثم الخلود ثانيا داخل إطار مكاني وزماني..."[1].

وقد اختلف الدارسون في إعطاء دقيق لمصطلح الشعبي، حيث يعرفه سانتيف: "بأنه ما يمارس أو ينتقل بين الشعب مع استبعاد كل ما تقوم به السلطة القائمة بفرضه أو تعليمه"، ويرى أريسكون خصائص أخرى لهذا المصطلح، فالعنصر الشعبي في نظره يجب أن يكون جزءا من الشعب، وألا يكون شيئا يتمسكون به لفترة قصيرة من الزمن و يجب أن يكون شامل الظهور داخل الجماعة البشرية"[2].

ج –مفهوم الطب الشعبي:

ويعد فرعا من فروع الأنثروبولوجيا الطبية: حيث "يرى فوستر أن الطب الشعبي مجموعة متنوعة من الخبرات والمعلومات الناجمة عن الملاحظة الفضولية للأنثروبولوجي الذي يجمع الوسائل والأساليب التي يستخدمها أعضاء المجتمع لعلاج مرضاهم، وعرف جيمس كيركيلاند الطب الشعبي التقليدي على أنه تلك المعتقدات والممارسات المرتبطة بالمرض والتي تنتج عن تطور التشخيص الثقافي البعيد عن الإطار التصوري للطب الحديث[3].

ويعرفه ديرتوفام Debrt Topham : "هو التطيب من الأمراض والأعراض عن طريق الأعشاب أو الممارسات التقليدية والتي أمكن التعرف عليها منذ زمن بواسطة مطببين محليين أو شيوخ الدين"[4].

أما فوزي عبد الرحمان عرفه بأنه: "أساليب وطرق معينة تستعمل غالبا الأعشاب والنباتات الطبية على شكل خلاصات كيميائية بتأثير بعض المعتقدات والأفكار السائدة في المجتمع"[5].

وقد عرف أيضا الطب الشعبي منير البعلبكي بأنه: "معالجة الأمراض بطرائق تقليدية أو مكتسبة عن طريق الخبرات المتوارثة جيلا بعد جيل لا بطرائق علمية أو مكتسبة عن طريق الدراسة في كلية من كليات الطب"[6].

---

[1] – مرسي الصباغ، المرجع السابق، ص08.

[2] – عبد الحميد بوسماحة، إشكالية المصطلح، الموروث الشعبي وقضايا الوطن، محاضرات الندوة الفكرية السادسة، الملتقى الأول للموروث الشعبي، رابطة الفكر والإبداع، مطبعة مزوار، الوادي، 2006، ص18.

[3] – مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية، الصحة والبيئة، دراسة اجتماعية وأنثروبولوجية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، مصر،2001، ط1، ص117.

[4] – نجوى عبد الحميد سعد الله، الطب الشعبي لقبائل البشارية في منطقة أسوان، دراسة في الأيكولوجيا البشرية، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، (د ت)، ص04.

[5]– عبد الرحمان مصيقر، الوصفات الشعبية المتعلقة بعلاج الأمراض، دراسة ميدانية، مجلة المأثورات الشعبية، الدوحة، قطر، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ع3، 1988.

[6]– منير البعلبكي، موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1983، ص147.

ومن خلال هذه التعريفات نستنتج أن مفهوم الطب الشعبي هو تلك الأساليب والطرائق والوسائل التي يقوم بها الإنسان لمواجهة وعلاج الأمراض التي تصادفه في حياته سواء كان ذلك عن طريق الأعشاب الطبيعية أو النباتات والمعادن وكذلك أجزاء من جسم الحيوان، أو استخدامه الرقية والتعاويذ والكلمات المقدسة (القرآن الكريم- التسبيح)، وما يترتب على ذلك من ممارسات أو وصفات وقائية وعلاجية سواء أكان القائمون على إعدادها أعضاء الأسرة بأنفسهم أم أناس متخصصون في العلاج مثل شيوخ الدين، وكذلك العجائز اللواتي يمتلكن خبرة في هذا المجال.

أما المفهوم الإجرائي للطب الشعبي الذي خلصت له الكاتبة البحرينية زينب عباس عيسى بأنه: " جميع الممارسات التقليدية المتوارثة حول الصحة والمرض التي يتم فيها علاج الأمراض"[1].

فالطب الشعبي يعتقد أن الإصابة بمرض من الأمراض هي نتيجة لنقص واضطراب أحد العناصر الطبيعية التي تخل بالتوازن الموجود بين الصحة والمرض، فالمرض لا يأتي فجأة وبدون مسببات وعلى المرء عندما يصاب جسمه بالعلة أن يفكر في الطرق والأساليب التي يستطيع من خلالها أن يحقق حالة التوازن ويرجع كفتها لصالح الصحة[2].

وفي دراسة أنثروبولوجية عن فلاحي الصعيد تشير بلاكمان blackman إلى تعدد أساليب الطب الشعبي خاصة للأطفال، نظرا لكثرة تعرضهم للأمراض، ومن ثم كثيرا ما تلجأ الأمهات إلى السحرة المتخصصين لعلاج أطفالهم بعمل الأحجية، وحمل التمائم لحمايتهم من العين الشريرة والحسد وأذى القرينة[3].

إن للطب الشعبي عدة مسميات في مختلف الدراسات، فالبعض يطلق عليه الفلكلور أو الطب الشعبي أو الثقافة الصحية الشعبية والطب البدائي الطب العرقي أي طب السلالات، الطب المألوف، طب الركة الخزعبلات أو الوصفات الشعبية الركيكة[4]. أو (الطب التقليدي) على أساس قدمه وطرقه العلاجية التقليدية أو القديمة، كما أطلقت عليها تسمية (الطب البديل) حيث أن بعض طرائقه العلاجية ذات فائدة وأهمية ترجح إمكانية حلولها محل الطب الحديث، أما تسميته (الطب العربي) فقد جاءت من الشهرة التي نالها العرب قديما في استخدامهم هذا النوع من الطب وبخاصة سكان القرى فعاليا ما يتمتعون في مجال التطبيب والعلاج، لشعبي وعلى أساس أنه مرحلة

[1] – زينب عباس عيسى، الطب الشعبي في البحرين، مجلة الثقافة الشعبية، ع12، ت: شرين 2010.

[2] – مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية، الصحة والبيئة، دراسة اجتماعية وأنثروبولوجية، ص118.

[3] – نجوى عبد الحميد سعد الله، الطب الشعبي لقبائل البشارية في منطقة أسوان، ص 05.

[4] – المرجع السابق، ص 118.

مكملة إلى جانب الطب الحديث أطلقت عليه تسمية (الطب التكميلي) أو الاستكمالي وكل هذه التسميات تشير في النهاية إلى الطب الشعبي[1].

وعلى المستوى الأكثر رحابة يجد الطب الشعبي بشأنه في ذلك شأن غيره من موضوعات علم الفولكلور، ويجد الباحث فيه الثقافة التقليدية لكذلك الثقافات الفرعية بيئية صالحة لنموه وازدهاره.

[1] – عبد الرزاق صالح محمود، الطب الشعبي في منظور أطباء الطب الحديث، دراسة ميدانية في مدينة الموصل، مجلة الدراسات الموصلية، ع18، شوال 1428 هـ تشرين الثاني.

الفصل الأول:

الطفل بين الأدب الشعبي والواقع الاجتماعي

الفصل الأول:

الطفل بين الأدب الشعبي والواقع الاجتماعي

المبحث الأول: العادات والتقاليد المتعلقة بالمولود جنينا ورضيعا

المبحث الثاني: تسمية المولود والاحتفال به

المبحث الثالث: المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل

المبحث الرابع: عادات وتقاليد تنشئة الطفل

المبحث الخامس: هدهدة الطفل والغناء له

المبحث السادس: ختان الطفل

المبحث الأول: العادات والتقاليد المتعلقة بالمولود جنينا ورضيعا

أولا: الطقوس المتعلقة بالحمل

الحمل "وهو ما يُحْمَلُ في البطن من الولد ، والجمع حَمالُ وأحْمَالٌ . وحَمَلَت المرأة تَحْمِلُ ، عَلِقت، ولا يقال حَمَلَتْ به وهي حاملٌ وحاملةً والحمل ثمر الشجر"[1]. وفي لسان العرب "الحَمْل هو ما يُحْمَل في البطن من الأولاد في جميع الحيوان". ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾[2]، وحملت المرأة والشجرة تحمل حملاً ، أي عَلقت وفي التنزيل: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾[3]. وأيضا قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾[4]، وكأنه إنما جاز حملت به بما كان في المعنى علقت به يقال امرأة حامل وحاملة إذا كانت حبلى[5].

ومن هنا تتضح علاقة المشابهة بين المرأة والشجرة، فكلاهما كائن حي يحمل بذوره بين أحشائه، فالشجرة تحمل ثمارها وتعلقها عليها، وتنمو تلك الثمار شيئا فشيئا حتى تنضج، وكذلك المرأة تحمل ولدها في بطنها ويتطور تلوى الأخرى حتى تصل تسعة أشهر فيكتمل حملها فتلد .

وتمر المرأة الحامل بمراحل مختلفة أثناء حملها، وقد تعتبر أعراض الحمل وحالاته ظاهرة عامة شائعة بين النساء الحوامل قديما وحديثا، وكما يقول المثل الشعبي: " ثلاثة وحم وثلاثة شحم وثلاثة يبس الجلدة عن العظم "[6].

والمراحل التي يمر بها الحمل هي كما يلي:

1- انقطاع الطمث:

يعتبر انقطاع الطمث أولى علامات الحمل، وفي بعض المجتمعات تخبر المرأة أقرب المقربين إليها كأمها أو عمتها (أم زوجها)، الأمر الذي يستدعي قابلة تقليدية للتأكد من وقوع الحمل، حيث تقوم القابلة بفحصها استنادا إلى معرفتها وخبرتها في هذا المجال، وعندما تتأكد من حدوث الحمل تقوم بإسداء بعض النصائح للحامل وخاصة البكر منهن وتنصح المرأة في هذا المجال بتناول أطعمة معينة كالتمر والحلبة وزيت الزيتون ..... إلخ، وذلك للمحافظة على نفسها وللإبقاء على صحتها وصحة الجنين[7].

---

[1] – الفيروز أبادي، قاموس المحيط، فصل الحاء، باب اللام (حمله)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1399هـ-1979، ج3، ط3، ص350.

[2] – سورة الطلاق، الآية 4.

[3] – سورة الأعراف، الآية 189.

[4] – سورة الأحقاف، الآية 15.

[5] – ابن منظور ، لسان العرب، باب (حمل) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1419هـ-1999، ج3 ،ط3، ص331.

[6] – مقابلة شخصية مع خضرة شراحي، 12-06-2013 ، 21:00.

[7] – ينظر: فاطمة عيسى السليطي، الاستعداد لمراحل الحمل والولادة في البحرين، مجلة الثقافة الشعبية، ع4، 2009.

ويذكر الأستاذ محمد المرزوقي في كتابه مع ال بدو في ترحالهم عن عادات طريفة في البوادي التونسية قديما فيقول: "حين تحس المرأة بالحمل لا تشعر به أحدا في أيامه الأولى ولو كان أقرب الناس إليها كأمها أو أختها ويعتبرون ذلك من الحياء المطلوب في المرأة، حتى إذا اضطرت أن تكشف السر يوما فإنها لا تكشفه إلا بعد مضي ثلاثة أشهر أو أربعة على الحمل، وإلى أخت شقيقه أو صديقه عزيزة وإذا كشفته قبل ذلك التاريخ اعتبرت (خفيفة) أي حمقاء وعديمة الحياء وكثيرا ما يبقى الحمل سرا مجهولا حتى يكشفه تضخم البطن، أو يفاجئها مرض من أمراض الوحم كالقيء مثلا. ودامت هذه التقاليد إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ثم تساهلت النساء في الكشف عن الحمل وتذمرت العجائز من الجيل الجديد ، عديم الحياء والحشمة "[1].

فالمرأة في بداية حملها عليها أن تكتم سر الحمل ولا تتعجل بالتحدث به ، إلا إذا كشفتها أعراضه فهي عادة تظهر عليها ولا يمكن إخفاءها.

2- الوحم:

يمهد الوحم المرحلة الثانية من مراحل الحمل، وذلك بعد انقطاع الطمث بأربعين يوم، وحسب ما يعرف عند أغلب النساء أن أعراض الحمل تبدأ بأولى مراحلها وهي الوحم. فينتاب الحامل شعور بالغثيان يصاحبه ترجيع كل ما تتناوله من طعام، مع دوران في الرأس وإحساس بالإرهاق وحالة من النعاس تدفعها إلى الخلود إلى النوم[2].

إضافة إلى استحبابها أنواع معينة من المأكولات، كالحوامض مثل الليمون والبرتقال والطماطم والتفاح ....الخ، أو الموالح وقد تعاف بعض المأكولات .

ويلاحظ أن بعض النساء في هذه الفترة يقضمن نوعا من الطين، أو نوعا من الحجارة اللينة، أو كذلك الفحم، وهذا لما يجدن فيها من الملوحة وبعدما تختفي هذه الأعراض تدريجيا في نهاية الشهر الرابع [3]. وتقول الحاجة بشيرة: "وحم المرأة ثلاثة أشهر، وفي هذه الشهور يتخلق فيها الجنين ويتكون، فإذا كان ولد يتفصل* في أربعين يوم، وإذا كان بنت تتفصل في أربعة أشهر "[4]. وتعتقد كثير من المجتمعات أن تلبية طلبات المرأة الحامل في هذه الفترة من الحمل واجب عليهم، وأن عدم الاستجابة لرغباتها يشكل خطورة كبيرة على صحة الجنين، فإذا اشتهت المتوحمة نوعا من أنواع المأكولات ولم تجده وحكت موضعا في جسدها، ومن هذا مثلا أن تظهر الفاكهة على جسم

[1] – محمد المزوقي، مع البدو في رحلهم وترحالهم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1984، ط2، ص11.

[2] – فاطمة السليطي، المرجع السابق .

[3] – ينظر: المرجع نفسه.

* – يتفصل: بمعنى يتشكل و يظهر جنسه مؤنث أو مذكر

[4] – مقابلة شخصية مع الحاجة بشيرة عوينات، 84 سنة، حي الغربية حاسي خليفة، 13-07-2014، 10:00.

الطفل، فإذا توحمت على عنب تظهر على جسد الطفل حبات عنب تتلون بنفس لون العنب في موسم ظهوره [1] وهذا ما يسمى بالشهوة*.

ومن الطبيعي أن المخيلة الشعبية لم تغفل عن العناصر الأدبية في فترة الوحم بل كانت حاضرة بالفعل، وعلى سبيل المثال الأغاني التي تغنى للحامل المتوحمة في فلسطين.

عـلى بـيّـاعـين العنب	حبلى يتوحـم عـلى العنب
جاب لي الـلبّة مـيّه[2] وجـبّة	بيع الـلبّة واشتوي العنب
جاب لي الحـلق ملفوف بـورق	بيع الحـلق واشتوي العنب
جاب لي الطربوش بعض وبيوس	بيع الطربوش واشتري العنب[3]

والملاحظ من هذه الأبيات أن المرأة إذا توحمت على نوع من أنواع المأكولات فإنها ستفضّل هذا النوع على سائر الأشياء، وهي هنا تفصل أكل العنب في وحمها على التزيّن والتحلي بالذهب مثل اللبّة والحلق كما أنها ستضطر إلى بيعه إن لم يتوفر لها ذلك.

ويعتقد أن المرأة إذا توحمت على وجه جميل تنجب طفلا جميلا ولاحظت الباحثة البريطانية وينفريد بلاكمان winfied blachmam "حرص الفلاحات المصريات على تعليق صور أشخاص ذوي وجوه جميلة والنظر إليها طوال مدة الوحم لكي تنجب المرأة أطفالهم يشبهونهم في جمال الوجه والشخصية"[4]

"وهناك في بعض المناطق قد تلجأ المرأة المتوحمة إلى شرب الماء على رأس الطفل الذي تريد أن تنجب مثله"[5]

وتتجنب المرأة الحامل في فترة الوحم النظر إلى الأشخاص قبيحي الوجه أو المشوهين خوفا من أن يولد الطفل على نفس صورتهم، وكذلك تتجنب رؤية الميت خوفا من رؤية الطفل بعد ولادته، ويعرف المعتقد الشعبي في صعيد مصر بعض الممارسات التي يجب أن تؤدي في حالة حدوث ذلك فجأة أو عن غير قصد من المرأة الحامل، إذ يكسر العقد الذي ترتديه في رقبتها وتفرط حبته، ويرش وجهها بالماء حتى لا تتمكن من نسخ تلك الصورة على طفلها، أو يحدث ما لا تريده[6].

---

[1] – علياء شكري ، عادات دورة الحياة عند بلاكمان في كتاب فلاحو الصعيد ، مجلة الفنون الشعبية ، ع19، 1987.

* – الشهوة: وهي علامة تشوه جسد الطفل بسبب وجودها فيه والشهوة من الاشتهاء وهذا لأن الحامل ، تشتهي شيئا ما، ولذلك شهوة.

[2] – اللبة ميه ، عقد تتزين به المرأة .

[3] – نضال فخري طه، الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي، رسالة ماجستير جامعة نابلس، 2009، ص45.

[4] – علياء شكري، المرجع نفسه.

[5] – ينظر: مقابلة شخصية مع الحاجة مباركة شراحي، 64 سنة ، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 20-10-2014، 21:00.

[6] – علياء شكري ، المرجع نفسه.

وتصاحب هذه المرحلة من الحمل طقوس كثيرة وهي تختلف من مجتمع إلى آخر، فنجد النسوة يقمن بممارسات متنوعة، ولكنها تشترك كلها في التخلص من التابعة أو القرينة، وهذه الأخيرة تسعى بدورها إلى هلاك الأطفال وموتهم.

ومن الممارسات التي تقوم بها أم الزوج حرصًا على حماية الزوجة الحامل من العين والسحر ومن كل ما يصيبها بأذى، ، فتقوم في هذا المقام بإحضار حبة بيض، يتم طليها باللون الأحمر (من طينة معروفة بالمغري) أو بالحناء وأحيانا بدم الحيض وتكسرها على الجانب الأيسر من المكان الذي تمر منه الحامل، وتقول:

"مـــرحى وأهـــلا وسـهلا بمـــا يـــــــــــــ عـــــطيه الله

إن كانت صبية فستكون لبؤة وإن كان فتى فسيكون شابا مباركا

اكسروا لها حبة بيض قـانية لكـــــي لا تلـحق بـها التابعة"[1]

وهي في اعتقادهم أنّهم بذلك كسروا التابعة أي العين الشريرة.

ويشير هذه المقطوعة الشعرية إلى التسليم بمشيئة الله والرضى بما سيأتي ذكرا أو أنثى، فالأنثى ستكون لبؤة والذكر سيكون شابا مباركا والبيت الأخير فيه إشارة واضحة إلى الوصفة التي ذكرناها.

والبيضة في العديد من الثقافات ترمز إلى الخصوبة، كما أنها تحيل إلى البيضة الكونية التي خرجت منها الحياة ونجد أن هبة البيض حا ضرة في طقوس الزواج والميلاد وطلاء البيض بماء حمراء ينقلها من نسق الخصوبة إلى نسق المواجهة والتصدي للشر بالشر، وهذا لأن اللون الأحمر هو رمز دموي كما أنه هو الشر في كل الحالات، وعندما تكسر البيضة على الجانب الأيسر الذي تمر منه الحامل ففي اعتقادهم أنهم كسروا التابعة وأفسدوا مفعولها الشرير[2].

ومن الممارسات كذلك إحراق بخور سبعة وعشرين في الليل أو في الصباح الباكر وإخفاء الأمر على الجيران والبخور هو خليط من الأعشاب المختلفة يش بالعطر حتى تصبح رائحته زكية، ويسمى بخور سبعة وعشرين لأنه يوضع أمام المصلين ليلة السابع والعشرين من رمضان حيث يختمون القرآن في صلاة التراويح[3].

[1] – بوحبيب حميد، الأشكال الشعرية الشفوية و البنيات الاجتماعية في بلاد القبائل ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي تخصص أدب شعبي ، 2011-2012 ، ص340.

[2] – المرجع نفسه، ص 341.

[3] – ينظر: مقابلة شخصية مع الحاجة مباركة شراحي، 20-10-2014، 21:00.

ومعظم الطقوس والممارسات التي تقوم بها النسوة لمنع التابعة أو القرينة التي يعتقد على نطاق واسع أنها إذا حلت بالمرأة الحامل فإنها تتسبب لها في الإجهاض[1].

ومن الأغاني التي تغني للحامل قبل أن تضع مولودها وقد تبين جنسه. وربّما يواسين بهذه الكلمات الحامل التي تستشعر بثقل الجنين:

"يا حَاملة الصِنْيَان يا حاملة الصَوَّان
يا حَامِلة عِـيشَة يا حاملة خِيشَة"[2]

والمقارنة هنا بين الجنين الذكر والجنين البنت ليس في الثقل أو في الوزن فقط، ولكنها تبطن تفضيلا حتى في القيمة والمكانة .

وفي فلسطين يغني للحامل أيضا، ومنها ما ذُكرى في مذكرة نضال فخري طه :

"حَبِّلت البنِت من ثلاثةُ شـهُر حبَلها لايِق يِـا رَب تُسْـتُر
ليلة مِيلادَها يا ربّ أنا أحْضَرَ أو كل من قِطع السُرة حلقومـــا"[3]

3- ما بعد الوحم:

بعد انقضاء الأشهر الأربعة الأولى من الحمل تخف وطأة الوحم تدريجيا، فتبدأ المرأة القيام بأعمال البيت المكلفة بها من إعداد الطعام وغسل الملابس وتنظيف البيت ونسج النسيج وغيره ا. وإن كانت تعفى من الأعمال الشاقة،كجلب الماء من البئر والجلوس إلى الرحى والاحتطاب وحمل الأثقال وحرث الحصاد..... إلا أن أم الزوج وهي المعروفة باسم العجوز أو العمة تقوم بمساعدتها والاهتمام بها، وكذلك سلفاتها وأخوات زوجها إن وجدن[4].

وتتوالى الشهور والحامل تئن وتتألم خاصة في الليل مما يسبب لها أرق فتشتكي الحال لعمتها عما تحس به من آلام وسهر، ولكونها بكرا فهذه تجربة تمر بها لأول مرة، فتخبرها أم زوجها بأن هذه الأعراض تسمى بالأوجاع وأنها ثقل الأشهر الأخيرة من الحمل، وتقول الحاجة مباركة : "الثلاثة يبس الجلدة عن العظم أي الجنين يتغذى من أمه ويخليها عن العظم ،وفي الشهور الأخيرة تحس المرأة الحامل بالتسابيف *، وتختلف من واحدة إلى أخرى، فمنهن

[1] – نضال فخري طه ، الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي، ص51.

[2] – عبد الحميد حواس، أوراق في الثقافة الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2005، ط1، ص34 .

[3] – نضال فخري طه، الطقوس المعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي، ص 51 .

[4] – ينظر : فاطمة السليطي، المرجع السابق.

* –التسابيف: أوجاع الولادة التي تشعر بها المرأة الحامل، أو المخاض .

من تجيها في الشهر السابع أو الشهر الثامن أو التاسع "[1]. وتختلف معاملة الأسر للكنة الحامل من بيت لآخر فالبعض يسمح لها مع نهاية شهرها الثامن بالتوجه إلى بيت أهلها استعدادا للولادة لأن أهل الزوج لا يتحملون مسؤولية ولادتها وما يترتب عليها من تبعات ، إلّا أنّ البعض الأخر من الأسر يبقى الكنة في بيت زوجها ويعفيها من العمل إذا دخلت شهرها التاسع ويتحمل مسؤولية ولادتها[2].

"ويعتبر حمل المرأة حدثا مهما في بلاد سومر، وكان يحظر عليها إسقاط الجنين لأي سبب من الأسباب، وهناك عدد من التعاويذ والصلوات التي كانت تقال للمرأة الحامل (أريتو Eritu)، وكانت هذه المرأة تقدم خلال حملها تقدمة للعفريتة الشريرة (لاماشتو) خلال أشهر الحمل كي تضمن ولادة سهلة وطفلا كاملا."[3]

ثانيا: الطقوس المتعلقة بالولادة والمولود

الولادة:

وأصل كلمة الولادة من الولد، والمرأة تلد الذكر والأنثى، وتحدث أحمد أمين في كتابه قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية عن ولادة الذكور: "وأن الرجل إذا أراد أن تلد امرأته الذكور فليضع يده اليمنى على سرتها وهي نائمة، ويمسح على السُرّة وهي في ابتداء حملها ويقول ثلاث مرات وهو يديم المسح بيده اللهم إن كنت خلقت خلقا في بطن زوجي هذه. فكونه ذكرا وأنا أسميه محمدا رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وبشروه بغلام عليم."[4]

"وطقوس الولادة والموت غالبا ما تعمق رمزية الأرض الأم، ففي كثير من الثقافات غير العربية يجب أن يوضع الطفل عند الولادة بتماس مع الأرض، وهذا من أجل أن يميز جيدا أن الأرض أمه الحقيقية، أو حتى من أجل أن يجتذب منها نوعا من الطاقة. ولكي يلتمس الوليد الجديد الأرض على المرأة أن تلد مقرفصة أو متربعة مباشرة على التراب وعندما يلد الطفل يجب أن يوضع في سرير أرضي."[5]

ومن المعتقدات الشعبية السائدة في أوروبا التشاؤم من ميلاد الطفل في منتصف النهار، أو في منتصف الليل وكذلك يوم الجمعة ، وللتخلص من أذى هذه الولادة يجب على الأم عند اقْتِبَالِها (أي قبولها في الكنيسة بع د

[1] –مقابلة شخصية مع مباركة خلايفة، 80 سنة، حي الشرقية حاسي خليفة، 20-08-2014، 15:20.

[2] – ينظر: فاطمة السليطي، المرجع السابق.

[3] – خزعل الماجدي، متوت سومر التاريخ، المثيولوجيا، الالاهوت، الطقوس، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، 1998، ط1، ص 322 .

[4] – أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د ت)، ط2، ص 377 .

[5] – فيليب سيرنج،الرموز في الفن –الأديان– الحياة، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق، 1992، ط1، ص 364 .

ولادتها) أن تلقي قطعة فضية من نافذة الحجرة التي ولدت فيها الطفل،كما يلزم على الأم أن تبقى شمعه شعائرية مشتعلة منذ ولادة طفلها حتى يوم عماده ليلا ونهارا في الغرفة التي تعيش فيها [1].

وتتم عملية الولادة عبر ثلاثة مراحل نذكرها على الترتيب؛ ما قبل الولادة، أثناء الولادة، ما بعد الولادة.

1 –ما قبل الولادة:

تسمى هذه المرحلة بأوان الولادة أو التحضير للولادة، فعندما يدخل الشهر التاسع تشعر الحامل بالتعب والثقل الشديد، ويصبح الكل يترقب تلك اللحظة السعيدة. بالرغم مما بها من آلام ومخاطر بقدوم مولود جديد يدخل البهجة والفرحة في قلوب الجميع [2]. وقد تحضر المرأة الحامل بمساعدة عمتها ووالدتها كثيرا من الحاجات المتعلقة بالطعام مثل الحلبة والثوم والفرماس (المشمش المجفف) والفول والحمص، وتخلط كل هذه اللوازم ثم يوزع منها بشيء على الجيران التماسا للبركة، ثم تخزن الكمية الباقية. كما تطحن كمية كافية من القمح، ثم يفتل الدقيق على صنفين حبات دقيقة أو متوسطة للكسكس وحبات غليظة للبركوكش كما يحضر السمن البلدي وزيت الزيتون من أجل الوجبات الدسمة للنفساء طيلة أيام النفاس .....

ثم يحضر المرور وهو مشروب، وقد يكون مسحوقا يذر على الكسكس عند تقديمه ويتكون من عدد من الأعشاب كالإكليل والبسباس والكمون والنعناع والخزامى والقرطوفة من أجل تجفيفها وطبخها في الماء للشرب أيام النفاس أو سحقها لذرها على وجبات الطعام عند التقديم [3]. كما يحضرون قطعا من قماش، قديم لرجل، كأن تكون بقايا عمامة أو بقايا جبة لتكون لفافة الوليد الجديد، ومن العادات أن تخضب أيدي وأرجل الحامل بالحناء ويقال حتى يحن الله عليها بولادة سهلة.

وتقول الحاجة عائشة: "عندما تدخل الحامل شهرها تكثر من المشي، والحركة وشرب الماء وتعود كل صباح تشرب شوي زيت زيتون حتى يخرج صغيرها رطب مدهون، وتطبخ شوي * ماء فيه الحلبة وإكليل وقرفة وتشربه، وهذا يسهل ولادتها ويقوي الأوجاع"[4].

---

[1] – ينظر: بياركانا فاجيو، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا، تر: أحمد الطبال، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1993، ط1، ص 307 .

[2] – فاطمة السليطي، المرجع السابق.

[3] – ينظر: مقابلة شخصية مع مباركة خلايفة، 20-08-2014. 15:20.

* – شوي: قليل.

[4] – مقابلة شخصية مع الحاجة عائشة كشوط، 81 سنة، حي الغربية حاسي خليفة، 13-08-2014، 21:00.

2 أثناء الولادة:

عندما تشعر المرأة بآلام المخاض تخبر عمتها، فترسل إلى القابلة التقليدية وهي عجوز تمرست في هذا الشأن كما ترسل إلى جاراتها وقريباتها لمساعدتها في ذلك، فيحضرن لها الماء الدافئ، وربما يعلقن لها حبل في سطح البيت لتمسك به وتبذل جهد من أجل تسهيل خروج المولود، فإذا اشتدت أوجاعها أمرتها القابلة بأن تصرخ مستغيثة بالله يا رب ...يا رب أو بأولياء الله الصالحين وقد تعد أحدهم بنذر إن هي تخلصت من المخاض العسر [1].

وتحكي لنا الحاجة بشيرة عن طقوس تقوم بها أثناء عملية الولادة فتقول: "نحط يدي اليمين عن سرة المرأة التي توجع وتدوّرها سبع مرات من اليمين إلى اليسار وسبع مرات من اليسار إلى اليمين، وتقول في كل مرة:

أُخْرُجْ يا جِنِي مِنْ هِنِي بجَــاهِ ربَّـي والنّبِي"[2]

كما أن هناك آيات من القرآن الكريم تقرأها المرأة أثناء المخاض ومنها قوله تعالى:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾ [3] وتكرر ألقت ما فيها وتخلت ثلاث مرات، كما أنها تكثر من ذكر الله والاستغفار، وأحيانا نجدها تصرخ بأعلى صوتها وتقول: سامحوني سامحوني، فهي تطلب السماح من والديها أو من زوجها أو من عمتها وتطلب منهم أن يدعو لها الله كي يسهل عليها الولادة[4]. وتقول الحاجة كلثوم عن الولادة المتعسرة: "الوحدة كي تعود ولادتها صعبة نحطو لها سرة من التراب الساخن تقعد عنها وما تتحركشي لا يمين ولا يسار، ولازم اثنين نساء يمسكنها من الوراء، وواحدة تحط إيديها في غراضيفها وهي تبع أوجاعها الطرف بالطرف، وين تقوى الموجعة تضغط عن الجنين وما تخليشي يطلع إلى الفوق، وإذا ظهر رأس الصغير نحط إيدي في ذقنه ونشده من قفاه ونجبده بشوي حتى يخرج كله، ونعصر له خشمه ونعصر لها الحبل السري ونرجع لي فيه للصغير لكي ينزاد له ويتقوت منه، ونغرف إيدي في البطن الصغيرة حتى تقوى الأوجاع وتخرج الأخوات من النافس ونقيس ثلاثة أصباع من سرة الملايكة ونسمي باسم الله ونقصها بموس لام ونربطها وقبل ما نغسل يدي نأكل عليها ثلاثة كعبات تمر بش تشهد عليّا يوم القيامة، والنافس نحمد لها عن خلاص رأسها إذا جابت ولد نزغردلها و كان جابت بنت نهزلها خاطرها بهذه الكلمات:

يا مَرحَـبا يا مَرْحَـبا بمِـلاَيِـكَةُ الله

هَذِه وِلِيـــسَةُ أمُـهَا رَبِّي عَنْـهَا بِتِـمهَا

---

[1] – ينظر: محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم و ترحالهم ، ص12.

[2] – شرح البيت: أي أخرج أيها الجنين من هنا (بطن أمه). مقابلة شخصية مع بشيرة عوينات، 04-08-2014 ، 15:20.

[3] – سورة الانشقاق، الآية 1-4.

[4] – مقابلة شخصية مع هنية عوينات، 79 سنة، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 02-01-2014، 13:00.

وبِالخَيْر يِعِـــــم ـّــهَا والهنَاء والسَعادة يِمَنَّهَا"[1].

وتخبرنا الحاجة بشيرة التي ولّدت العديد من النساء عن شيء يخرج مع المولود اسمه البرقع، وهو عبارة عن غشاء رقيق يغطي وجهه أو جسمه كله. وسعيد الحظ من يولد فيه هذا البرقع، ويتفاءل به تفاؤلا كبيرا، ويعتقد أنه سيرزق رزقا وافرا في المستقبل وتقول: "نأخذ البرقع اليابس ونضيف له الزعفران المرطب والملح والكمون الأسود والكمون الأخضر، ونخلطه مع بعضه البعض، فهو بإذن الله سيجلب الحظ ويبعد النحس، ويعتقد أن الشخص إذا أخذه معه عند مواجهة عدوه سوف سيهزمه وينتصر عليه"[2].

إنَّ أغلب هذه الروايات تبين لنا أن طقوس عملية الولادة الطبيعية التي تمارسها العجائز في منطقة وادي متشابهة كثيرا مع مناطق أخرى ولا تختلف عنها بشيء مثلما هو الحال في البوادي التونسية ومنطقة البحرين.

وما ذكرته فاطمة سليطي عن الولادة وما تقوم به القابلة أثناء التوليد يشبه كثيرا الروايات التي سمعناها من عجائز منطقة الوادي.

وتذكر بلاكمان بعض الطقوس والممارسات في الصعيد المصري التي تتعلق بعسر الولادة؛ منها أن تزحف المرأة تحت جمل سبع مرات، ويغسل الزوج كعب رجله اليمنى في ماء وتشرب الحامل المتعسرة هذا الماء ثم يلف (الزوج) القرية سبع مرات دون أن يكلم أحد[3].

"أما الولادة عند السومريين كانت تقوم بها القابلة (شازو sha=zu) التي غالبا ما كانت تأتي إلى بيت الحامل حين تحين ساعات الولادة وهي تردد الصلوات والتعاويذ لتسهيلها .

ويبدو أن الولادة كانت تجري على مصطبة * من اللبن تحضرها القابلة التي أخذت منها دور الكاهنة أو دور الآلهة ننتو إلهة الولادة والمساعدة في الإنجاب وربما أورورو، وهما صورتان من صور الإلهة السومرية الأم ننخرساج"[4].

وكانت القابلة تعصب رأس الأم أثناء عملية الولادة، وتقطع الحبل السري وتثبت حدوث الولادة، وتأتي نسب الطفل إلى الأم.

---

[1] – شرح المقولة: المرأة عندما تكون ولادتها صعبة يوضع لها سرة من التراب الساخن لتجلس عليها ولا تتحرك. ويتطلب الأمر وجود مساعدات من النساء ليمْسكنها من الوراء، ويجب أن تضع واحدة من النساء يَدها في المنطقة ما بين الصدر والبطن وتتابع أوجاعها، وعندما تشتد الأوجاع تضغط القابلة على الجنين و لا تتركه يصعد إلى الأعلى، وإذا ظهر رأسه تضع يديها في ذقنه وتمسكه من قفاه وتسحبه حتى يخرج، وتضغط على أنفه، وبعد خروج المشيمة وتقيس ثلاثة أصابع وتقطع الحبل السري بأداة حادة، وتأكل ثلاثة حبات تمر قبل أن تغسل يديها، وتمنع النفساء على خلاصها ،وتزغرد للمولود إذا كان ذكرا. مقابلة شخصية مع الحاجة كلثوم غريبي، 78 سنة، حي الشرقية حاسي خليفة، 12-01-2014، 16:40 .

[2] – مقابلة شخصية مع الحاجة بشيرة عوينات، 12-08-2014 ،21:10.

[3] – ينظر: علياء شكري، المرجع السابق.

* – المصطبة: مكان ممهد ،قليل الارتفاع عن الأرض يجلس عليه (من الحجر) .

[4] – خزعل الماجدي، متون سومر، ص322 .

"وقد تتواجد الآلهة وربلت الولادة مع المرأة التي على وشك الوضع في غرفة الولادة و هن: سبع إلهات للتويات مخصصات ليساعدن ننماخ ساعة الولادة، ويبدو أن لكل واحدة فيهن دورا خاصا: نن إما، نن ماذا، نن بازا ، نن مك ، نن لكونا، سوزي أنار، موسار غابا".[1]

"وقد حافظت ننماخ على دورها في الخلق فهي إلهة الولادة التي صنعت الإنسان من الطين مع إيلي".[2]

ويذكر كريم صمويل في كتابه أساطير العالم القديم هذه الترتيلة :

"إيلي أمي إن المخلوق الذي نطقت باسمه موجود، أربطي عليه صورة الآلهة

أخلطي قلب الصلصال الذي فوق العمر

إن الخالقين الطيبين الأجّلاء سوف يكتفون بالصلصال

أنت تخرج الأعضاء إلى الوجود

إن ننماخ إلهة الأرض الأم سوف تكون من فوقك

وإلهة الولادة .....سوف تقف من خلفك"[3].

وتعتبر الإلهة نانا إلهة الحب والجنس والإخصاب والولادة وهي أشهر وألمع إلهة سومرية[4]. وكانت الإلهة باست سيدة برأس قطة، ربة النساء الحوامل[5]. وكان الإله خنوم يصوغ شكل الجنين حين يحضر ساعة الولادة وتساعده الإلهات الأربع (إيزيس، نفتيس، حقت، مسخنت)[6].

وجاء في الأساطير الحثية (650 ق م):

"القابلات جئن به إلى الولادة

وربلت المصير والإلهات والأمهات رفعن الطفل"[7].

وفي مصر القديمة كان الإله خنوم يقرر الشكل النهائي للجنين، أما ساعة الولادة فتقوم الإلهة إيزيس وكاهنتها القابلة بعملية الولادة، وتساعدها الإلهات الباقيات فتسندها (نفتيس) وتستعجلها (حقت) وتشجعها (مسخنت) ثم تغسل القابلة الوليد وتقطع حبله السري[1].

---

[1] – خزعل الماجدي، المرجع السابق ،ص159– 160 .

[2] – خزعل الماجدي، بخور الألهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين ،الأهلية للنشر والتوزيع ،لبنان ،1998،ط1 ،ص 315.

[3] – كريم صمويل نوح ،أساطير العالم القديم ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،1998،ط1 ،ص 84 .

[4] – خزعل الماجدي ،متون سومر ، ص 294.

[5] – بدج والسن،آلهة المصريين ، تر :محمد حسين يونس ،مكتبة مديولي ،القاهرة ،1998 ،ص 532 .

[6] – ينظر:خزعل الماجدي، الدين المصري ،دار الشروق ،رام الله ،عمان ،1999 ،ص233 .

[7] – روست يانا جاكويا، صلوات وحكايات وأساطير حثية، تع: قاسم طوير، مطبعة عكرمة، دمشق ،1986 ،ط1 ،ص12 .

وترعى عشتار حيا ة النساء الحوامل وتكون حاضرة فوق سرير الولادة لتسهيل عملية الوضع، وكانت نساء بابل يدعين عشتار وهن على فراش الوضع وهذه ترتيلة بابلية إلى عشتار:

"تعين النساء فتاة أو امرأة أو أمة

نافذة شرائعها سامية محكمة"[2].

وهناك نص بابلي طقسي كان يتلى لتخفيف آلام الحوامل عند الوضع:

"أنت عون الآلهة يا مامي* الحكيمة، أنت الرحم الأم أيتها الخالقة، أخلقي الإنسان فقالت ننتو للآلهة الكبار: لن يكون لي أن أنجز ذلك وحدي، وإن بمعونة إنكي سوف يخلق الإنسان "[3].

3 -ما بعد الولادة:

أولا: قطع الحبل السري

إن أول ما تقوم به القابلة بعد العملية الولادة قطع الحبل السري، وهو عبارة عن قطعة لحمية تصل بين الجنين (عن طريق سرته) وجسد أمه أثناء الحمل، ويسقط بعد الولادة ببضعة أيام وتشرح لنا القابلة بشيرة عملية قطع السرة كما تجريها هي: " نقيس ثلاثة أصباع ونقص الحبل السري بموس لام، ونعقده ثلاث عقدات ولازم ما يبقاشي يتنفس وإلا ينضر الملايكة ويموت، وبعد أيامات تطيح سرة الملايكة ونديروله في سرته الكمون الأسود وزيت الزيتون والموس لي قصينا به الحبل السري نديره في قطنة ونحطها في وسادته. بش تبعد عنه التابعة"[4].

وتعتبر ممارسة هذه العملية طقسا من طقوس العبور، وهي تشير إلى القطيعة الأولى، أي انفصال الجنين عن عالمه الداخلي –رحم أمه الذي تخبط فيه تسعة أشهر– وخروجه إلى العالم الخارجي عالمه الذي سيكمل فيه بقية حياته.

ويفسر المعتقد الشعبي بكاء الطفل حين خروجه من بطن أمه ورؤيته لنور الوجود لأول مرة بحزنه الشديد على فقدان عالمه السعيد ورحيله منه. وفي عرف العامة يعتقد أن المولود عندما يخرج إلى عالمه الجديد يبكي ويقول: "واش خرجني من دار الوسع وجابني لدار الضيق "[5]. أي ما الذي أخر جني من الدار الواسعة وأدخلني إلى الدار الضيقة.

---

[1] –ينظر: المرجع السابق، ص 233 .

[2] – فراس السواح، لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، دمشق ،1985 ،ط1 ،ص 84 .

* – مامي: هي ننخرساج الأم الأولى .

[3] – فراس السواح، المرجع نفسه، ص 55 .

[4] – مقابلة شخصية مع الحاجة بشيرة عوينات، 12-08-2014 ،21:10 .

[5] – مقابلة شخصية مع خضرة شراحي، 24-09-2013 ،14:30 .

ولذلك يجب أن تتم عملية القطع بوسائل بدائية جدا (شفرة حلاقة أو خنجر) بحذر شديد مع إحكام الربط بعد القطع والحرص على أن تكون العقدة تامة وصغيرة الحجم كي لا يتشوه بطن الوليد عندما يكبر ،وكل هذا مع العناية بعدم تعريضه إلى العين الحاسدة[1].

وتقول القابلة أو الأم أثناء التصرف في الحبل السري هذا الدعاء: "بسم الله الرحمن الرحيم، الله يجعل وجهك علينا خير، الله يا ربي يطول عمرك ويرزقك وتشوف السعد والهناء"[2].

وتؤخذ سرة الوليد ويدفنونها غالبا في الخ لوة، أي كتاب القرية [3]، "أو توضع في قلب النخلة ويتفاءل بالطفل لكي يصبح قارئا أو تلميذا ناجحا أو إماما أو مزارعا."[4]

ثانيا: الخلاص

ويعرف الخلاص في عرف العامة ب "الأخوات" ويطلق هذا الاسم على المشيمة وكثيرا من الناس يعتقدون أن المشيمة كائن إنساني، وهي الأخت التوأم أو الأخ التوأم للطفل الذي يولد قبل نزولها بفترة قصيرة، وإذا ظلت الخلاصة داخل الرحم فإن المرأة ستموت بالتأكيد، وتبقى معلقة بين الحياة والموت حتى تنزل المشيمة.كما يعتقد أن الخلاص يحوي روح الطفل الوليد أو يضم روحه الحارسة، والتصرف فيه سوف يحدد مهارات الطفل وحظه ومصيره في الحياة[5].

إن أغلب شعوب الأرض تنظر إلى الخلاص بنظرة تقدير وحرص شديد، وتعمل على المحافظة عليه أو التصرف فيه طبقا للمعتقدات الشائعة عنه لدى الجماعة، وهناك شواهد لا حصر لها على هذا الاعتقاد عند الشعوب المختلفة ومن هذا مثلا ما يقوم به شعب الايما ر Aymara، في يولوفيا بأمريكا الجنوبية فهم يغطون خلاص الولد بالزهور ثم يدفنونه مع نماذج مصغرة جدا من أدوات العمل الزراعي، أما بالنسبة لخلاص البنت فيدفن ومعه وعاء طهي صغير[6].

أما في المجتمع الريفي المصري يستلزم أن يبقى الخلاص في حجرة الولادة حتى تمر عليه ثلاثة أذانات – إذا تمت الولادة في الصباح لابد أن يبقى الخلاص حتى أذان الظهر وأذان العصر وأذان المغرب – حيث يعتقد النساء أن ذلك يحفظ الطفل من الشر والحسد...، ثم يتم التخلص من الخلاص في الصاغة اعتقادا بأن يجعل الطفل ثريا في

---

[1] – بوحبيب حميد، الأشكال الشعرية الشفوية والبنيات الاجتماعية، ص 349 .

[2] – نضال فخري طه، الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي ،ص 78.

[3] –محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، ص 13.

[4] – محمد الجوهري، الطفل والتنشئة الاجتماعية، ص 16-17.

[5] –ينظر: مقابلة شخصية مع الحاجة بشيرة عوينات، 12-08-2014 ،21:10.

[6] –ينظر: محمد الجوهري، المرجع نفسه ،ص 17-20.

المستقبل أو يرمى في البحر أو النهر أو الترعة اعتقادا أن ذلك يجعل جراح الطفل سريعة الالتئام عند غسلها بالماء ....ويفضل البعض رميه للكلاب لتأكله أملا في أن تكون الزوجة ولودا مثل أنثى الكلب المعروفة بكثرة إنجابها، وكثيرا ما تلجأ السيدات اللاتي يموت أطفالهن في سن مبكرة إلى وضع الخلاص في قدر صغير ومعه كمية من الملح ورغيف من الخبز الساخن ....ويقفل القدر محكما ويحفظ في مكان آمن، ويعتقد أن هذا الإجراء يحفظ الطفل من الموت[1].

"وقد اهتمت بلاكمان بالمعتقد الشعبي الخاص بالخلاص، واعتبرته الولد الثاني الذي لم يكتمل نموه، وقد تحرص المرأة كل الحرص على رميها في المياه الجارية أو دفنها في مكان بعيد... إلخ، وقد تتبع في ذلك سلوكا معينا إن كانت ترغب في أن ترزق بطفل آخر، وفي هذه الحالة تدفن المشيمة تحت العتبة وتخطو فوقها ثلاث أو خمس أو سبع مرات، لتدخل الروح في جسدها وتلد مرة أخرى، ويتم دفن المشيمة مع رغيف خبز ورطل من الملح في إناء من الفخار ويدفن كل ذلك تحت أرضية البيت لتجنب وصول القرين إليه"[2].

وتحكي لنا الحاجة خيرة عن كيفية التخلص من الخلاص فتقول: " نربطوا الحبل السري ونديروا فيه الملح والكمون الأسود والكمون الأخضر والرماد و ندفنوا الأخوات في حفرة في الحوش ولازم يبقى رأس الحبل السري متقعد أي متلفت إلى الفوق، وإذا انكب رأس الحبل السري يجئ الصغير قداف، وتبقى حفرة الأخوات تأكل وتشرب مع النافس الكسكسي، والحليب، والبيض، واللحم المرور...إلخ وأي طعام يعطوه للنافس يعطوها منها لمدة سبعة أيام، وفي اليوم السابع نطلقوا فيها طلوق أشفاع* وعرعار بكوش* وندفنوها ونقول لها :

سَامِحِينَا فِيمَا نِسِينَا بِجَاه ربّي ونبِينَا "[3]

وتبين لنا من روايات الكثير من العجائز في منطقة الوادي أن المعتقد الشعبي السائد عن الخلاص هو أنه الأخ الثاني أو الأخت الثانية للمولود، فالأخوات تعامل معاملة الكائن البشري، وذلك من خلال تقديم الطعام والشراب الذي تأكله الأم لمدة سبعة أيام . وكذلك إحراق البخور داخل الحفرة التي فيها الأخوات، وهذا لإبعاد

---

[1] – محمد الجوهري، المرجع السابق، ص 20 .

[2] – علياء شكري، المرجع السابق.

* – طلوق أشفاع: ويتكون من العرعار وهو الأساسي مع القليل من الأعشاب المعطرة مثل الورد .

* –عرعار بكوش: أي عرعار لم يصل عليه ليلة التراويح في رمضان.

[3] –شرح المقولة: نربط الحبل السري ونضع فيه المكونات التي ذكرت وندفن المشيمة في حفرة في البيت ويجب أن يبقى رأس الحبل السري متجه إلى الأعلى، وإذا كان العكس سوف يكون المولود كثير القيء، وتبقى حفرة المشيمة تأكل وتشرب مع النفساء ما تأكله وتشربه لمدة سبعة أيام، وفي اليوم السابع يحرق فيها طلوق أشفاع وعرعار بكوش وتدفن. مقابلة شخصية مع الحاجة خيرة عوينات، 61 سنة، حي الغربية حاسي خليفة، 01-08-2014، 16:50 .

القرينة وحرق الأرواح الشريرة كي لا تلحق الضرر بالمولود . وهذه الممارسة تقوم بها المرأة هي نوع من السحر الاتصالي الذي يفترض وجود علاقة بين الإنسان والجزء الذي ينفصل عنه أو يبْتر منه كالأظافر والشعر وغيرها والعلاقة هنا هي ما بين المرأة النفساء والأخوات أي ابنها الثاني الذي لم يكتمل نموه.

"وهناك قصص للهنود الحمر في أمريكا الشمالية تكشف بوضوح عن الاعتقاد الشعبي في الخلاص كتوأم الطفل، ومن هذه القصص تلك التي تحكي أن طفلا طلب من أبيه قوسين ورمحين صغيرين ليلعب بهما (وحده) في الغابة فقرر الأب أن يختبأ ليشاهد رفيق ابنه الغامض الذي يلعب معه، وقد رأي الأب من مخبئه ولدا آخر قادما من مكان دفن خلاص ذلك الطفل في الأحراش ليلعب مع ابنه فأدرك أنه هو توأم ابنه."[1]

ثالثا: الاهتمام بالنفساء

عندما تضع النفساء مولودها، يعصب رأسها ثم تأخذ بعد استحمامها إلى فراشها المعد سلفا بعدها يدلك جسمها بالدهون «دهن البقر»من رأسها إلى قدمها بعد التعب والجهد الذي بذلته في الطلق[2].

وكما تطعم النفسا ء طعاما للتقوية و إدرار الحليب وتعويض الدم المفقود أثناء الولادة، وفترة الحمل التي قد أنهكتها ابتدءا من مرحلة الوحم وما تسبب فيها من قلة في الأكل إضافة إلى مشاركة الجنين لها فيما تأكل، وقد أخذ من لحمها ودمها وعظمها، وهناك مثل شعبي فلسطيني يقول: "إن ظل العود اللحم بيعود"[3]. وعلى النفساء أن تعوض كل الطاقة التي فقدتها أثناء الحمل والولادة وذلك بتناول نوع معين من الأطعمة منها الطمينة وهي مسحوق من القمح والحلبة والحمص والفول والسمسم وتمزج بالسمن أو زيت الزيتون وتكثر من شرب المرور والحليب وكذلك أكل الكبد واللحم والبيض والكسكس ....إلخ .

"وفي البوادي التونسية تطعم النفساء العصيدة الساخنة حيث توضع اللقم الثلاثة الأولى فوق ظاهر كفها الأيمن لتأكلها وتقول التي تلقمها في كل لقمة (أنسي ما قلت وافكري ما جبت) أي أنسي ما قلت

أثناء أوجاع الولادة ولا تفكري إلا في مولودك ثم تأكل طعامها بنفسها بعد الثالثة وهذه العصيدة تسمى في الفصحى (الخوية)"[4].

ويعمل للنفساء كمّادات للبطن من الملح الحجري، وهو ما يسمى بملح فارسي بعد تسخينه فتكمد به بطنها وتستمر هذه العملية مدة اثني عشرة يوما ،كما أن هناك ما تشربه النفساء لتنظيف الرحم من الدم وتصفيتها.

---

[1] – محمد الجوهري، الطفل والتنشئة الاجتماعية، ص 18 .

[2] – ينظر: فاطمة سليطي، المرجع السابق.

[3] – نضال فخري طه، الطقوس والمعتقدات الشعبية، ص110 .

[4] – محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم ،ص 13 .

ومن ذلك "الحسو او الرشوقة "[1]،حيث تأخذ قطعة صغيرة من المر وتطبخ مع قليل من الدهن لتشربه النفساء. وللملح دور كبير في العلاج حيث يدق ويخلط مع (الغسل)* وتعمل منه كرة بحجم بيضة الحمامة توضع داخل رحم النفساء ،واحدة في الصباح وأخرى في المساء يوميا لمدة عشرة أو اثني عشرة يوما وهي تعمل.

ومن المعتقدات الشعبية السائدة في البحرين أن النجوم تتجمع في السماء ليلة الجمعة والأحد والأربعاء ولذلك يؤخذ كف من الحلبة و يوضع في قدر مع بعض عظك اللبان وتغمر بالماء، ويترك القدر في فناء البيت ليلة واحدة ويجب أن تكون من بين تلك الليالي، وفي الصباح يؤخذ من ماء الحلبة وتسقى منه النفساء، وفي اعتقادهم أن ذلك يحفظ المولود وأمه من أي مس أو مكروه[2].

وقد تتوالى النسوة لتقديم التهاني للنفساء بعد خلاصها من الأوجاع وتهنئتها بقدوم المولود الجديد إلى بيتها وهن يحملن معهن بعض الهدايا كالنقود مثلا أو البيض أو زوج من الحمام وهو الشائع في بعض المناطق الريفية حيث تهدى للنفساء لتأكلها ، ومن العبارات التي يرددها النسوة للتهنئة :"الحمد لله على خلاص راسك "[3]، "والحمد لله على السلامة"[4]، وإذا كان المولود ذكرا فيقول لها: مبروك التراس*، وكذلك "يتربى في عزك ودلالك إن شاء الله تربي عن يديك، مبروك الغرز (أي الولد)"[5].

أما إذا كانت أنثى فيقال لها: "مبروك الغرزة (البنت)، تتربى عن يديك" [6]ويقال للنفساء أيضا: "ربي ينفض فراشك بالخير"[7]، أي إذا قامت من فراشها أنها ستكون سالمة وبصحة جيدة بإذن الله.

رابعا: الاهتمام بالمولود

عندما يقطع الحبل السري للمولود، ينظف الطفل بالماء الدافئ في الشتاء وبالماء البارد في الصيف وهناك مثل شعبي يقول: "المي الباردا أحن من الوالدا "[8]. ثم تكحل عينه وحاجبه ويدثر بالغسيل، ونجد أن تكحيل العين

---

[1] – الحسو أو الرشوقة: الرشاد بعد طبخه بالسكر والبيض والليمون الأسود والفلفل والكركم وهذا النوع من الشراب موجود في البحرين .

* – الغسل: نبات من فصيلة السرمقيات غني بالصودا يستعمل رماده في الغسل ويزرع في الحدائق وله فوائد طبية .

[2] – فاطمة السليطي، المرجع السابق.

[3] – محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، ص 13 .

[4] – المرجع نفسه، ص 13 .

* – التراس: هو الرجل الشاب .

[5] – مقابلة شخصية مع مباركة خلايفة، 20-08-2014، 10:30 .

[6] – مقابلة شخصية مع خضرة شراحي، 25-12-2013 ، 14:10 .

[7] – مقابلة شخصية مع بشيرة جلول، 68 سنة، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 14-03-2014، 09:40 .

[8] – فاطمة السليطي، المرجع السابق .

وتخطيط الحاجب هي عادة شائعة عند أغلب الشعوب، وذلك لكي يكبر الطفل وتكون عيونه واسعة وجميلة وحواجبه ثقيلة ...!

وفي قديم الزمان كانوا يحرقون مع الكحل قطعا من كبريتات الزنك أو كبريتات النحاس، وهي مواد مطهرة وقاتلة للميكروبات، ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن الكحل القديم المختلط بالزنك أو النحاس كان ينفع في قتل الميكروبات التي تلوث عين الطفل أثناء مروره من رحم الأم إلى العالم الخارجي، كما كانت تنفع في علاج التراكوما والرمد الحبيبي للأطفال الأكبر من ذلك... وهكذا تأصل المعتقد الشعبي بفائدة الكحل في المحافظة على النظر [1].

ومن العادات والتقاليد السائدة في كثير من المناطق أن يلبس المولود لباساً يسمى بالدُراعة *، ويؤذن في أذنه اليمنى واليسرى ثلاث مرات، ويدلك جسمه بالزيت الدافئ. وأحيانا يوضع في قفة من السعف، ويدعى المولود في هذه الفترة الأولى قبل تسميته (بالملائكة)، حيث يلقم ثدي أمه فيشبع من اللبن وهو حليب الأم في أيام النفاس الأولى، كما يسقى بنقيع الحلبة لتسهيل تخلصه من الفضلات.

وما ترويه لنا العجائز عن كيفية التعامل مع المولود: "في النهار الثالث من عمر الملائكة اندروله نفوله ونخلطوله زيت الزيتون ومعه النفول *ولحسوه في فمه ثلاث مرات بالأصبع اليمين وفي خشمه ثلاث مرات ، ونمسحوله فريسته كلها بالزيت لي فيه النفول لمدة سبعة أيام " [2].

وتمسيد الطفل ظاهرة شائعة لدى العامة في كثير من المناطق، ويقصد بها دَلّك أعضاء جسمه بدهن ما بواسطة اليدين، ويعتبر الدلّك من أنواع الرياضات التي يمارسها الإنسان ، وقد استُعمل في أقدم العصور للصغار وللكبار، وله فوائد عظيمة وخاصة للطفل الذي لا يزال عاجزا عن الحركة، فهو يلين البشرة ولا يجعلها جافة، كما أنه يجعل عضلات الجسم في حالة من الاسترخاء حتى يشعر صاحبها بالراحة التامة، ولذلك تسعى الأم لتدليك صغيرها عادةً بزيت الزيتون وخاصة أثناء الليل لكي يخلد إلى النوم بعدها ويشعر بالراحة.

ومن الممارسات التي تقوم بها أم الطفل لحمايته من القرينة ما ترويه لنا التجانية : "كي يعود عمر الملائكة ثلاثة أيام نديروا سرة كمون أكحل وطلوق أشفاع في يديه اليمين ورجليه اليسار بالخلاف ، ونديروا تحت رأسه مفتاح

---

[1] – ينظر: أحمد السعيد يونس، العادات الشعبية في طب الأطفال رؤية معاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 2010، ط1 ، ص 116 .

* – الدُراعة: قماش لونه أبيض يثقب من وسطه كي يدخل منه رأس المولود ويكون مفتوح من الجانبين .

* – النفول: خليط من الأعشاب المرطّبة ويتكون من كمون أسود وأخضر وشقف الطين الأحمر والمردقوش وجوزة الطيب وقرفة وعرعار وشيح وقرنفل وورد .

[2] –يمسد المولود بزيت الزيتون والنفول ويبدأ بفمه وأنفه ثم سائر أعضاء الجسم ثلاث مرات ، مقابلة شخصية مع مبروكة وطوط، 85 سنة، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 03-12-2013، 10:30 .

حديد"[1]. وفي اعتقادهم أن ذلك يبعد عنه الحسد والعين والأرواح الشريرة التي تحاول أذيته وقتله. وكذلك من بين العادات والتقاليد التي تمارس للطفل في المناطق الريفية القماطة وهي شريط أبيض من القماش تعد خصيصا للمولود، لكي يلف بها جسده مع الدُراعة أو مع خرقة نظيفة، وتستعمل القماطة عادة للطفل لكي ينام ،ويعتقد أن الطفل إذا قمط ونام سوف ينمو جسمه ويكون بصحة جيدة.

ومن التقاليد أيضا أن يسور معصم الطفل بسوار من خيوط حمراء وخضراء تربط في ودعة أو أي نوع من الصدف ويسمون هذا السِوار "بالعيشة" وتخبرنا الراوية فاطمة بذلك فتقول: " في النهار الثالث نديروا العياشة للملائكة في يديه اليمين، وفيها خيط أخضر وأحمر وغرز تين [2] حمر و ودعة بيضاء وسطهم "[3]. ويعتقد أن العياشة تضمن عيش المولود بأمان وتبعد عنه الأخطار المحيطة به .

وهناك معتقد شعبي سائد في كثير من أنحاء العالم، "حيث يرفع النساء المولود الجديد غالبا نحو القمر كي تبارك نموه."[4]

[1] – مقابلة شخصية مع تجانية شراحي، 59 سنة، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 23 -06 -2013، 10:40 .

[2] – غرزتين : أي حبتين من حبات السمسم .

[3] – مقابلة شخصية مع فاطمة كشوط، 82 سنة، حي الشهداء حاسي خليفة، 24 – 10 – 2013، 17:20 .

[4] – فراس السواح، لغز عشار ،ص 84 .

المبحث الثاني: تسمية المولود والاحتفال به

أولا :تسمية المولود (émétpab el)

في كثير من الثقافات يحتفل بتسمية المولود الجديد وذلك بإقامة طقوس وممارسات تتنوع من ثقافة إلى أخرى تهدف غالبا إلى إلحاق الطفل الوليد كعضو من أعضاء الأسرة والاعتراف به كعضو جديد ينضم إليها. ولدى بعض الشعوب فإن رجل الدين هو الذي يشرف على تسمية المولود، وتكون طقوس التسمية عبارة عن أدعية وتمنيات للمولود. "ويذبح المسلمون شاة تسمى العقيقة، بعد أن يحلقوا شعر رأسه ويوزن الشعر الذي حلق بميزان الذهب. ثم يخرج مقدار ذلك الشعر الموزون نقودا إلى الفقراء والمساكين ."[1]

ويؤذن الطالب (رجل الدين) في إحدى أذني المولود ولا يتأخر عن إعطاء اسم للمولود إلى أكثر من ثلاثة أيام أو سبعة على الأكثر، فإهمال إعطاء الطفل المولود اسما يعتبر في بلاد الشام من الأمور المشئومة على الأسرة كلها[2]. ويكون أبو المولود حاضرا ومن الطقوس حمل الطفل على أكتاف الأب والطوفان به.

إن تسمية المولود هي عادة شائعة منذ القديم، حيث ورد في الأساطير الحثية 2000 سنة قبل الميلاد ما يدل على ذلك:

"القابلات جئن به إلى الولادة

وربلبت المصير والإلهات رفعن الطفل

و وضعنه على ركبتي كوماربي *

وبدأ كوماربي يفرح بولده

وطفق يد لله

شرع يعطيه اسمه العزيز

وبدأ كوماربي يكلم عقله هو: «أي اسم سوف أضفي عليه"[3].

وفي بعض الثقافات كان يعتقد أن الطفل الوليد لا تدب فيه الروح إلا بعد أن يسمى باسم معين، ويطلق على الأطفال الذكور المسلمين أسماء الرسل والأنبياء والصحابة والأولياء وغيرهم من الصالحين،كما يفضل أن يسمى المولود عن اسم جده أو أحد أقاربه من المتوفين، أو جدتها إن كانت أنثى. وقد تختلف أسماء الأشخاص من إقليم

[1] – مقابلة شخصية مع خضرة شراحي ، 12 -04-2014، 18:40 .

[2] – نضال فخري طه ، المرجع السابق ،ص 111 .

* – كوماربي ،إله حثي ، ينظر :روست ،صلوات حثية ،ص 56 .

[3] – كريمر ،أساطير العالم القديم ،ص140 .

لآخر داخل المجتمع الواحد، ومن عوامل ذلك الاختلاف نسبة التركيب الديني من مجتمع لآخر، واختلاف أسماء الأولياء المحليين من منطقة لأخرى[1].

ومن الأساليب التي كانت تتبع في القديم لتسمية المولود عملية استطلاع النجوم والكواكب لمعرفة طالع المولود والكوكب الذي يناسبه، حيث يقترح له المنجم أو المؤدب اسما حين يفتح عليه البرج، والبرج كتاب يطرح أعداد اً تناسب إثني عشرة برجًا من أجرام السماء: الحمل الثور الجوزاء...، وكل عدد يرتبط بحرف معين ،وبعملية حسابية يقع اختيار برج من أبراج الخير على الاسم المناسب للطفل، وإذا اعتلت صحته ادّعوا أن اسمه غير م ناسب له فيستشيرون المؤدب ليختار لهم الاسم المبارك الذي يناسب برجا طيبا كبروج السنبلة التي تدل على كثرة الخصب والثور الذي يدل على العمل المثمر والبركة، والميزان الذي يدل على الاعتدال في الحياة وغيرها من بروج الخير[2].

وقد لاحظت بلاكمان أن هناك أسلوبا آخر كان متبع في تسمية المولود وهو في متناول عامة الناس، حيث تكون التسمية يوم السبوع وتلون كل شمعة بلون يشير إلى اسم من الأسماء المختارة وتوقد الشموع ويتركونها مشتعلة إلى أن تنتهي، والشمعة التي تظل مشتعلة أخيرا هي التي يختار الاسم المرتبط بها. وفي اعتقادهم أن تلك الشمعة التي بقيت مشتعلة هي أطول عمرا من الشموع الأخرى[3].

إن استخدام هذه الأساليب في التسمية قد انحسرت، إلا أنّها تدلنا بشكل واضح على أهمية اختيار الاسم الذي مازالت الأسر توليه اهتمامها.

ثانيا: الاحتفال بالمولود (السبوع)

إن أغلب المجتمعات تحتفل بالمولود في اليوم السابع من ولادته ،وترجع تلك العادة من منطق الاعتقاد الكامن في اليوم السابع و أهميته الأسطورية وهذا الاحتفال ما هو إلا تعبير عن فرحة وسرور المحيطين بذلك المولود، وتعتبر الطقوس والممارسات التي تجرى للوليد في أيامه الأولى هي درع لامناص منه للحفاظ على حياته وحمايته من الأرواح الشريرة والكائنات فوق طبيعية، لذا فإن إقامة احتفال السبوع يعد من السمات الجوهرية المميزة للاحتفال بقدوم المولود لكونه رمزا لبقاء الطفل على قيد الحياة. كما يعد السبوع ضرورة لصرف الملائكة التي تعتقد أنها تحرس الطفل منذ ولادته ولا تغادره إلا في اليوم السابع بغض النظر عن جنسه ذكرا كان أو أنثى[4].

---

[1] – ينظر: محمد الجوهري، الطفل والتنشئة الاجتماعية، ص 28 – 29 .

[2] – ينظر: محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، ص 14 -15 .

[3] – ينظر: علياء شكري ، المرجع السابق .

[4] – ينظر: نجوى محمود عبد المنعم قاسم، ديناميات تغير التراث الشعبي في المجتمع المصري، دراسة لعادات الطعام وآداب المائدة في إحدى القرى المتاخمة لمدينة القاهرة رسالة لنيل الدكتوراه في الآداب (اجتماع) ،1998، ص 270 .

وتكون إحتفالية السبوع للطفل الأول للأسرة أكثر بهاءا وتكلفة من الأطفال الذين جاءوا بعده. ويطلق هذا الإحتفال بالمولود بيوم السبوع لأنه يتم في اليوم السابع من ولادته، والعدد سبعة في المعتقد الشعبي له مدلول عظيم في عالم الأرقام ،فهو اكتمال عدد السماوات وعدد الأراضي، وأن الله قد أنهى خلق الكون والوجود في سبعة أيام عند استوائه على العرش. وفي كثير من الثقافات يعتقد أن الملائكة قد أنهت عملها في اليوم السابع و أدت ما عليها من دور في الحفاظ على المولود من الجن والقوى الغيبية التي تعمل جاهدة على إلحاق الضرر بالمولود والتسبب في موته بعد أن فشلت في إجهاضه جنينا في بطن أمه. وأنه بإقامة احتفالية السبوع يتحقق شيئٌ من الوئام والتوافق والتصالح بين القرينة وذلك الطفل فتنصرف عنه ويأمن هو من أذاها[1].

وفي اليوم السابع يلبس الطفل ثيابا جديدة مخيطة لأول مرة، بعد أن كان يلبس الدُرّاعة ويلف بها مع شريط من القماش. "وفي بعض الشعوب تثقب أذن المولود إذا كان أنثى ويعلق فيها قرطا من ذهب أو فضة،كما يعلقون على صدره كثيرا من التمائم مثل كعب الأرنب وحنك القنفذ وناب الذئب وذيل الفنك. وهذا لحمايته من العين والسحر ومس الجان."[2]

ويعتقد المصريون أن حاسة السمع تستيقظ عند الوليد ابتدءا من اليوم السابع ،لذلك يكثرون من الضجيج عليه كما يدقون الهون عند أذنيه ،والملاحظ أن هذه العادات مخلفات ثقافية سابقة عن الإسلام كالثقافة العربية الجاهلية أو الفرعونية أو الأمازيغية أو الفينيقية ...الخ.

وفي مصر يوم السبوع هو يوم التسمية، وهو أول يوم يستحم فيه الطفل في حياته، والقابلة التي استقبلته هي التي تقوم بعملية الحمام وتجهز مياه الاستحمام منذ الليلة السابقة على السبوع، وتوضع في إبريق خاص إلى جوار الطفل ويزين الإبريق الذي يحتوي على الماء بزينات تختلف للمولود للولد الذكر عن البنت ،فيزين بالسبحة للولد الذكر ويزين بعقد للبنت. ويطلق على الماء الذي يستحم فيه الطفل ب "مية الملائكة" ويهدى ماء الحمام أو مية الملائكة لشيخ مُسن ويتفاءل للمولود بأن يعيش عمرا طويلا كعمر ذلك الشيخ.[3]

"وفي عشية اليوم السابع يأتي الجيران والأقارب من الأخوال والأعمام للمشاركة في هذه الاحتفالية، حيث يوضع ثلاث سلال في كل منها شيء من الملح وسبعة أنواع من الحبوب (القمح والشعير والذرة والفول والأرز والحلبة والبرسيم) وتترك كلها لتبيت في حجرة الوالدة والوليد."[4]

---

[1] – ينظر: دعاء صالح إبراهيم، احتفالية سبوع الطفل الكنزي ،دراسة ميدانية بكلابشة ،مجلة أطلس، المأثورات الشعبية، الهيئة لقصور الثقافة،ع 3 سبتمبر 2013 .

[2] – محمد المرزوقي، مع البدو وفي حلهم وترحالهم، ص 16 .

[3] – ينظر: علياء شكري ،المرجع السابق .

[4] – المرجع نفسه.

وفي يوم السبوع نفسه تأتي القابلة وتكحل عيني الطفل بالكحل الأزرق ثم تضعه في غربال وتضع معه الحبوب السبعة المذكورة آنفا، وبعد أن تطلق البخور المضاف إليه الملح تغربل الطفل قليلا وهي تغني أغنية خاصة بالسبوع وهي تختلف من منطقة إلى أخرى:

"برجالاتك ....برجالاتك ....حلقة ذهب في أوذاناتك يا رب يا ربنا ....تكبر وتبقى قدنا ....

وهذا في حال المولود أنثى أما إذا كان المولود ذكر فيكون النشيد كالأتي :

برجالاتك ....برجالاتك خاتم ذهب في إيدياتك

يا رب يا ربنا ....تكبر وتبقى قدنا " [1]

وبانتهاء الأغنية يوضع الغربال على الأرض لتخطو الأم فوقه سبع مرات وعلى مقربة من الغربال تدق إحدى السيدات الهون وهذا حتى يعتاد الطفل على سماع صوت الضجيج ومع هذا الدق تقول القابلة: "اسمع كلام أمك اسمع كلام أبوك، شرق شرق، غرب غرب"[2]. ويؤخذ الطفل من الغربال وتدور به القابلة في أرجاء المنزل وهي تنثر الملح، ويمشى وراءها الأطفال الصغار مُمسكين بالشموع المضاءة وهم يرددون وراءها أغنية برجالاتك مع زغاريد النساء وتصفيقهن،وتعمل القابلة حجاب للوليد فيه حبات الحبوب السبعة مع قليل من الملح وبعض قطع النقود الصغيرة ويعلق هذا الحجاب في خيط حول عنق الطفل كما توزع الحلوى والحمص والفول السوداني مع شراب المغات على الموجودين[3].

وكثيرا ما تقدم للطفل الهدايا ولأمه أيضا، ومن الهدايا التي أشار إليها المرزوقي:" الخميسة وهي حلية على شكل كف الإنسان وتكون من الذهب أو الفضة تعلق على جبين الطفل لحمايته من العين، وكذلك سمكة صغيرة من المعدن النفيس وقرن الغزال ...إلخ."[4]

[1] – دعاء صالح إبراهيم ،المرجع السابق.

[2] – المرجع نفسه .

[3] – ينظر: محمد الجوهري، الطفل والتنشئة الاجتماعية ،ص 25 .

[4] – محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم ،ص 17 .

المبحث الثالث: المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل

إن أغلبية العادات والتقاليد والطقوس التي تمارس للطفل في كثير من المناطق تكشف عن معتقدات شعبية كامنة يؤمن بها شعب من الشعوب، وأن تلك الممارسات التي تمارس إزاء الجنين والطفل الوليد قبل قبوله في المجتمع يمكن تفسيرها في ضوء معتقد شعبي أساسي ،فهي جميعا تستهدف حماية هذا الجنين ثم الوليد من الأخطار التي تهدده سواء من جانب قوى منظورة أو خفية، وأن أغلب تلك الممارسات كانت في الأصل ممارسات سحرية وطقوس دينية تخدم نفس الغرض، ثم سقطت إلى مستوى العادات وتحولت إلى الصورة التي نجدها عليها اليوم فعادات وتقاليد رعاية الجنين والمرأة الحامل ثم المرأة الواضعة ووليدها إنما هي بهذا المعنى رواسب لممارسات قديمة كانت تمثل درجة أعلى من التقديس[1].

فالعادات والتقاليد التي يمارسها الإنسان هي جزء من التراث الشعبي الذي توارثته الأجيال جيلا بعد جيل، وتلك الممارسات هي صفة ملازمة ل لإنسان ولا يمكن التخلي عنها وبفضل تكْرارها بصفة دورية في حياته قد اكتسب من وراءها خبرة شعبية ناتجة عن تجارب واقعة بالفعل، وقد نجد في الأوساط الشعبية معتقدات تتعلق بالحمل وأخرى بالولادة والمولود الجديد ،والواضعة والرضيع.... ولا يخلو تراث أي شعب من ذلك.

وسنعرض فيما يأتي المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل أثناء فترة الحمل ومعرفة جنسه ذكر أكان أم أنثى، وكذلك المعتقدات الخاصة بالولادة والمولود والمعتقدات التي تتعلق بأمراض الأطفال وغيرها .

1 – المعتقدات الشعبية الخاصة بالحمل:

يوجد في كثير من الثقافات معتقدات شعبية شائعة بين النساء عن حمل المرأة ومن ذلك نذكر ما يلي:

يعتقد أن المرأة عندما تكون حاملا أنها تشكل خطرا على غيرها من النساء وكذلك تطلب المرأة الحامل من والدتها أو عجوزها أن تحرم نفاسها، وتقول: "حُرمت على كل البشر وحلت على الشوك والشجر "[2]. أي يكون خطرها على الشوك والشجر لا على بنات جنسها.

"ومن المعتقدات الشعبية السائدة في أوروبا أن المرأة الحامل إذا لبست ثوبًأحمر فإنّها سوف تُجهض. ويعتقد كذلك أن المرأة الحامل إذا ركبت حصانًا سوف تكون إحدى فخدي طفلها أضخم من الأخرى".[3]

---

[1] – ينظر: محمد الجوهري ،الطفل والتنشئة الاجتماعية ،ص 09 .

[2] – ناج ح المعموري، العادات والتقاليد في الحلة، مجلة التراث الشعبي، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ع7، 1983.

[3] – بياركانا فاجيو، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوربا ، ص 184 .

وقد اهتم الطب الأكدي قديما بالتشخيصات الخاصة بالحمل والولادة وأطلق على المرأة الحامل لقب أم المستقبل، وتعتمد تلك التشخيصات حول معرفة جنس المولود ذكرًا كان أم أنثى على علامات الحمل التي تظهر على المرأة الحامل فمثلا: "إذا وجدت في جبين أم المستقبل بقعة لامعة بيضاء فإن الجنين الذي تحمله سيكون بنتا وستكون غنية، وإذا كان أنف أم المستقبل متورما بارزا فإن الجنين الذي تحمله ولد، وإذا كانت حلمتا أم المستقبل منكمشتين فإنها لن تتم أجل حملها، فإذا زال هذا عنها فإنها ستتم أجل حملها ،وإذا كان لونها قاتم السواد فإنها حامل بولد وإذا كان أحمر اللون فإنها حامل ببنت، وإذا كان أبيض اللون فإن حملها طبيعي."[1]

ويمكن التكهن بجنس الجنين منذ الوقت الذي تشعر فيه أمه بالحركة، إذ يعتقد أن الجنين الذكر أحكم وأقوى من الجنين الأنثى، ولذا فإن حركته تسبق حركتها، فهو يتحرك في نهاية الشهر الرابع بينما تتأخر حركة البنت حتى منتصف الشهر الخامس أو نهايته، وأن الجنين الولد يتحرك جهة الشمال، أما الأنثى فتتحرك في الجهة اليمنى ويقال: "اليمين مسكن الحريم والشمال مسكن الرجال"[2].

وتقول الحاجة عائشة علال: "إذا كانت المرأة العيانة* تحب تتزين في شهور عينها فهي عيانة ببنت، وإن كانت العكس فهي عيانة بولد."[3]

ويقال أن بطن المرأة إذا كان مرتفعًا إلى الأعلى فهي حامل بولد، أما إذا منخفض إلى الأسفل فهي حامل ببنت[4]. كما أن حليب المرأة التي تحمل بولد يكون أثقل وأكثف من حليب المرأة التي تحمل ببنت، وتقول الراوية: "إذا كان حليب المرأة الحامل ثقيلاً وأصفر فهي حامل بولد، وإذا كان حليبها أبيض وخفيف فهي حامل ببنت."[5]

وفي أوربا هناك وسائل متعددة تتيح معرفة جنس الطفل القادم ومنها "أن تقف أم المستقبل ،لابسة قميصها، وتدع قطعة فضية تنحدر بين ثديها فإذا سقطت هذه القطعة يمينا كان الوليد ذكرا، وإذا سقطت يسارًا كان الوليد أنثى. ويعتقد أن المرأة إذا أسْقطت سكينا فهي ستلد ذكرا، أما إذا أسقطت مقصًا فهي ستلد أنثى."[6]

وفي الطب الأكدي هناك نصوص تتحدث عن تشخيصات معينة و إنذارات بالولادة الطبيعية أو غير طبيعية أو عدم إكمال مدة الحمل أو التوائم أو ظهور الآلام ومن ذلك:

---

[1] – خزعل الماجدي، بخور الألهة ،ص 157 .

[2] – نضال فخري طه، المرجع السابق، ص 41 .

* – العيانة: وهي كلمة بالعامية وتعني في اللغة الحامل .

[3] – مقابلة شخصية مع عائشة علال ،22- 12 -2013، 17:10 .

[4] – نضال فخري طه ، المرجع السابق ،ص 41 .

[5] – مقابلة شخصية مع الحاجة بشيرة عوينات ،14 -02 -2014، 21:00.

[6] – بيار كانا فاجيو، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية، ص 186 .

"إذا كانت أم المستقبل كثيرة التقيؤ فإنها لن تتم حملها.

وإذا كان الدم يجري في فم أم المستقبل فإنها لن تعيش حتى ولادتها.

وإذا كانت تقذف قيحا من فمها فإنها ستموت مع طفلها الذي تحمله.

وإذا كانت أم المستقبل منشرحة كأنها لا تنجب الأطفال فإنها ستموت."[1]

2- المعتقدات الشعبية المتعلقة بالولادة:

تعتبر الولادة حدثا مهما بالنسبة للمرأة، كما أنها تشكل خطرا كبيرا على حياتها. إذ ينتابها شعور بالقلق والخوف من المتاعب التي ستواجهها أثناء الولادة ،ونجد أن المحيطين بها من أهلها يشجعونها على تجاوز هذه الصعوبات ويصبرونها بعبارات تهدأ من روعها وتخفف عنها شدة القلق، ومنها من يقول لها:"العاقبة لخلاص راسك إن شاء الله تولد بالسلامة ،ربي يخلص وحلك في محلك."[2]

ويبدو أن هذه العبارة كانت تكشف عن عادة كانت شائعة في القديم، حيث أن المرأة كانت تلد في بيتها ،ولا تذهب إلى أي مكان آخر ،فالمحل هنا هو المكان الذي تقيم فيه. وقد نجد في كثير من الثقافات معتقدات شعبية بين الأوساط النسوية حول الولادة، وسنتناولها بالتفصيل فيما يأتي: "حيث يعتقد الفلسطينيون أن السماء تكون مفتوحة لحظة ولادة المرأة، وأن الملائكة تحيط بالمرأة الوالدة. "[3]

عندما تلد المرأة مولودها، وهي لا تزال على فراش الولادة يعتقد أن الملك جبريل يضربها على رأسها ثلاث ضربات – وهذا عندما تشعر بصداع في رأسها – ويقول لها الهدى، الهدى، الهدى، من الكريم المولى، وهذا لكي تحن تلك المرأة التي ولدت على ابنها ولا تنفر منه بسبب تلك الأوجاع والآلام التي تسبب فيها، وكذلك لكي تنجب بعد طفلها الذي ولدته أطفالا آخرين ولا تخاف من الولادة التي أوصلتها إلى الموت[4].

ويعتقد أن المرأة عندما تكون على فراش الولادة أنها حورية جنة وأن الملائكة تنزل لها من السماء وقت الأوجاع. وتقول الحاجة زينب: "أن المرأة كان ولدت وجابت ولد تهبط معاه أعلام ترفرف، وكان جابت بنت تهبط معاها أعلام مطبقات، وأن الولد يضوي عن أربعين عشة وأن ملائكته تحاسب أهله إذا ما زغردوش عنه"[5]. أي أن المرأة المرأة إذا أنجبت ولدا يعتقد أن الملائكة تُنزل معها من السماء أعلاما ترفرف إلى الأرض، وأن الولد يضيء عن

[1] – خزعل الماجدي، بخور الآلهة، ص157 .

[2] – مقابلة شخصية، مع مسعودة بالنور ،69 سنة ،حي الغربية حاسي خليفة، 29 -10 -2013 ، 40 :18 .

[3] – نضال فخري طه، المرجع السابق ،ص 66 .

[4] – ينظر: مقابلة شخصية مع مبروكة وطوط، 12 -06 -2014 ، 30 : 18 .

[5] – مقابلة شخصية مع زينب عوينات،61 سنة ،حي الغربية حاسي خليفة، 24 - 02 - 2014 ،25 :11 .

أربعين بيتا من بيوت جيرانه، ولذلك تطلق النساء الزغاريد عند ولادته. أما البنت فهي لا تضيء عن الجيران وأعلامها تنزل مطوية لا ترفرف ولذلك لا يطلق الزغاريد عليها.

ويعتقد أن المرأة عندما تلد تكون مفاصلها مفتوحة، وأن العظام تخرج من العظام، فالرأس من الرأس واليد من اليد والبطن من البطن والرجل من الرجل.... لذلك تكون مفاصل المرأة مفتوحة كما أنها تحذر من دخول الهواء والبرد إلى جسدها فيسبب لها كثير من الأمراض[1].

ومن المعتقدات الشعبية الشائعة عند النساء أن المرأة عندما تكون على فراش الولادة يفتح فبرها لمدة أربعين يوم وتبقى الملائكة تنتظر قدومها إليه، وبعد انقضاء الأربعين يوم يغلق ذلك القبر وترمى الملائكة فيه الحجارة بدلا من المرأة التي ولدت وتقول :"طال الرجاء يا عظم الرجاء "[2].

وهناك حكاية شعبية عرفت في الأوساط الن سروية عن المعتقدات الخاصة بولادة المرأة ونذكرها كما ق التها لنا الراوية: "كان زوز نساء قاعدات يتحدثن، واحدة صبية والأخرى معرسة والمرأة المعرسة قالت للصبية: خطاتك الجنة لامت لا عروسة ولا نفوسة. وقالت الصبية: ظفرة بالقمام وصغير في الأخصان وبراني من تخليد الجنة"[3].

ونص الحكاية يعكس البعد الاجتماعي الذي انبثقت منه. فالمرأة الولود لها أغلب الحقوق في نظر المجتمع وفي عرف العامة. فهي لا تريد أن تكون وحيدة في حياتها بل ترغب في الزواج وإنجاب الأطفال وملاعبتهم.

3- معتقدات شعبية تتعلق بالطفل:

اهتم الطب الأكدي بصحة الوليد بعد ولادته، وبعد أن يصبح طفلا، وهناك نصوص تتحدث عن تشخيصات وإنذارات بذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

"إذا لم يقذف الوليد حال ولادته ما رضعه من ثدي أمه، وهو ضعيف البنية، فإن هذا الطفل مصاب بالعقر، وإذا أصاب المرض الطفل في الشهر الأول أو الثاني أو الثالث من عمره وأصبح لا ينام ليلا أو نهارا وأصبح كله منكمشا فإن أحشائه معاقة ولكن أمعائه طبيعية، وإذا كان متوعكا باستمرار فإن مرض قد أصابه.

إذا كان بطن الطفل يميل إلى الاحمرار أو الاصفرار فأن يد الإلهة كعبي قد مسته.

إذا كان ثدي أم الطفل معدا له ولم يأكل بعد، وكانت أحشاؤه ملتهبة فإن دعاءا سيئا قد أصابه"[4].

---

[1] - ينظر: مقابلة شخصية مع خضرة شراحي، 31-05-2014، 30 :21 .

[2] - مقابلة شخصية مع تجانية شراحي، 10-04-2014، 00 :10 .

[3] - يحكى أنه يوجد امرأتين، الأولى عزباء غير متزوجة والثانية متزوجة تناقشتا في الحديث، والمرأة المتزوجة قالت للأخرى: ابتعدت عن الجنة لأنك لم تموت عروس ولا على فراش الولادة، وقالت الثانية: أتمنى أن أتزين بالقمام (وله أوراق فيها رائحة زكية كانت النساء تبللها بالماء وتظفر بها الشعر) وأنجب طفل ينشأ بين أحضاني. مقابلة شخصية مع خضرة شراحي، 12-04-2014، 30 :10 .

[4] - خزعل الماجدي، بخور الألهة، ص 157- 158 .

عندما يبكي الطفل ولا يتوقف عن البكاء يعتقد أن شخصا من العالم الآخر قال له: إن أمك قد ماتت. فتسارع الأم إلى أخذه إلى حضنها–وتقول له: "لا ،لا أمك حية ما متتشي. ثلاثة مرات"[1].

إذا كان الطفل الرضيع مصابا بالشْ هِيقَة فإن والدته تتفاءل لأن مصرانه سيكبر وتقول بعض الأمهات بأن الشهيقة المستمرة تعطى الطفل عافية وصحة جيدة [2]، ومن الأقوال التي تقال للطفل عندما تأتيه الشهيقة "شهيقة يا مهيقة روحي لفلان أعطيه خنيقة"[3].

"إذا كان الرضيع يرضع من ثدي والدته ويبكي لسبب ما، فيعتقد النساء أن ثدي أمه غاضب عليه وينصح بإعطاء الثدي الآخر، والمقولة هذه معروفة في أوساط النساء: أعطيه الديس* الآخر، واحد يزعله وواحد يرضيه.

يعتقد أن القطة تتبول على حضانة الرضيع بعد غسلها إذا كانت في مكان منخفض، وفي حالة حدوث ذلك يتوقع الأم أن جلد رضيعها سيكون أحمر مثل لون الجسم المحروق، وهذا يؤذي الطفل كثيرا"[4].

عندما يسقط الطفل يقال له: (أتفل مكانك) أي أبصق في مكانك، ويعتقد أن أملاكه قد ارتعبت.[5]

"يعتقد أن الطفل الرضيع إذا كان وجهه غير مغطى سوف يبصق ويتبول عليه إبليس، لذلك جرت العادة أن يغطى الرضيع بقطعة بيضاء من القماش حتى لا يراه إبليس.

ويعتقد أن الأدوات الحديدية مثل السكين أو الإبرة أو المفتاح تؤثر على القوى غير منظورة، ولذلك تلجأ الأم إلى وضع أحدها تحت وسادة طفلها.

كما يعتقد أن الطفل الأزرق العينين إذا رضع من جارية حبشية أربعين يوما سوف تسود عيناه"[6].

إن الطفل عندما يولد ويكون رأسه كبير اً يعتقد أنه ذو ذكاء وفطنة حادة، وكذلك الطفل عندما تكون رجله صغيرة يتفاءل به ويعتقد أنه سيكون في المستقبل ذ ا مال كثير ،وأنه يحسن التصرف فيه ،وهناك مثل شعبي يقول: "كبر الرأس للدبارة ،وكبر الرجلين للخسارة "[7] .

---

[1] – مقابلة شخصية مع الحاجة مباركة شراحي، 13 – 04 – 2014 ، 30 :21 .

[2] – ناج ح المعموري، المرجع السابق .

[3] – مقابلة شخصية مع عائشة علال، 24-08 -2013 ، 20 :16 .

* – الديس : كلمة بالعامية ومعناها الثدي .

[4] – ناج ح المعموري ، المرجع نفسه .

[5] – مقابلة شخصية مع الحاجة بشيرة عوينات ،16 – 02- 1014 ، 10 : 11 .

[6] – ناجح المعموري ، المرجع نفسه .

[7] – مقابلة شخصية مع الحاجة عائشة كشوط، 23 – 01 – 2014 ، 40 :19 .

يعتقد أن الطفل الذي يكون جسمه ضعيف البنية وقصير اً أنه فطن وذكي جدا ،والمثل الشعبي التي يتردد في الأوساط الشعبية يقول: "قصير المفاصل والقلب واصل "[1] أي أن الطفل قصير في بنية جسمه لكن عقله وقلبه تامين لا نقصان، ويقال أيضا: أقربهم إلى الأرض أشدهم بلاءا.

وفي المجتمع المصري تمسح البنت حين ولادتها بدم الوطواط، وهذا في اعتقادهم أن الشعر لا ينبت على جسدها عندما تمسح بذلك [2] .

عندما يولد الطفل تكون عظام رأسه طرية وهشة، ويعتقد الناس أن (ملغيغه) أي المنطقة الهشة التي تكون في مقدمة الرأس أنها مفتوحة، وأن الطفل يسمع كل شيء يقال ، لذلك يحْذر الأهل من التلفظ بالكلام السيئ وذكر أسماء الشياطين والجن والسحر والسحرة والحديث من هذا النوع أمام الطفل .

وتقول زهرة عاد :" أن الصغير تبقى ملغيغه محلولة وما تسْكرتشي كان كي يقول القمحة " [3] .

"إذا كان المولود ممدّدا على الأرض ينصح بعدم التخطي فوقه ويعتقد الناس أنه إذا تخطي فوق المولود فـإنه سيبقى قصيرا ولن يزيد طوله"[4].

يعتقد أنّ الطفل عندما ينظر إلى النور أنه يرى رزق أبيه.

تنصح الأم بعدم غسل ملابس الطفل ونشرها ليلا، ويعتقد أن ملابس الطفل إذا غسلت ونشرت على الحبال ليلا فإن النجوم تسقط عليها، ويلبس تلك الملابس أناس آخرون من الكائنات غير مرئية وأن الطفل سوف يتأذى إذا لبسها[5].

"إن تعليق التمائم والتعويذات والخرزة الزرقاء على كتف الولد أو في خصلة من خصل شعره يعتقد أنها سوف تدفع الأذى عنه وترد حسد الحاسدين.

يتفاءل الناس بالطفل الذي ينام على قفاه ويضع يديه إلى ما وراء رأسه، ويعتقد أن هذا دليلا على كثرة رزقه . كما يتشاءم من الطفل الذي ينام على وجهه، ويحاول تعويده النوم على قفاه"[6].

---

[1] – مقابلة شخصية مع الحاجة عائشة كشوط ، 23 – 01 – 2014 ، 19: 40 .

[2] – ينظر : محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، ص 96 .

[3] – شرح المقولة: يعتقد أن الطفل يستمع إلى الحديث من المنطقة الهشة التي تكون في مقدمة رأسه وهي طرية، ويعتقد كذلك أنها تصبح صلبة عندما يتلفظ الطفل بكلمة القمحة. مقابلة شخصية مع الزهرة عاد، 81 سنة، حي الغربية حاسي خليفة، 11 –05 – 2014، 15:00 .

[4] – أحمد زياد محبك ، من التراث الشعبي دراسة تحليلية للحكاية الشعبية ،دار المعرفة ،بيروت ،1426 / 2005 ، ط 5 ،ص 242 .

[5] –ينظر : مقابلة شخصية مع عائشة علال ، 25 – 04 –2014 ، 40 : 10 .

[6] – أحمد زياد محبك ،المرجع نفسه، ص 244 .

يعتقد أن الطفل الذي يبدأ بالكلام، إذا نطق باسم أبيه قبل أمه فإن الطفل الذي سيأتي بعده يكون ذكرا وإذا نطق باسم أمه قبل أبيه فإن المولود الذي سيأتي بعده بنتا.

يعتقد أن الطفل إذا كان أصلع بدون شعر فإن المولود الذي سيأتي بعده يكون ذكرا[1]

4- المعتقدات الشعبية المتعلقة بموت الأطفال:

إن المعتقدات الشعبية الخاصة بموت الأطفال كثيرة ومتنوعة، ولقد بلورت الخبرة الشعبية كثيرا من العادات والتقاليد التي يمارسها الأهل لتجنب موت أطفالهم ومن ذلك نذكر بعضها:

"في بعض المناطق تجمع سبع قطع صغيرة من القماش مختلفة الألوان من سبع نساء تدعى كل واحدة منهن «فاطمة»، وتخيط من تلك القطع ثوبا يلبسه المولود فور ولادته، ويسمى ذلك الثوب بثوب فاطمة".[2]

وفي صعيد مصر، لكي يعيش الطفل الذكر يستحسن أن يلبس فستانا ويسمى باسم بنت حتى يصبح عمره أربع أو خمس سنوات..... كما تثقب أذنه اليمنى ويلبس خلخالا حديديا ي صرعه متخصص في الرجل اليسرى فأمه بهذه الممارسات تسعى إلى تشويه شكل ابنها لكي يعيش ، وهي في اعتقادها بهذا الفعل أنها تحميه من الحسد. ويستحسن بأن نسمي الطفل لكي يعيش باسم يثير السخرية والشفقة مثل : شحتة وشحاتة والشحات وخيشة.... إلخ.

ومن العادات أيضا أن تلصق خمسة* فضية اللون بقطعة لبان في خصلة شعر مقدمة رأس الطفل وتترك حتى يكبر ... وعند بلوغه تسعة أو عشرة شهور تسحب الخُمسة من رأسه ويقطع شعره الملتصق بها.[3]

ولا يزال هناك الكثير من العادات والتقاليد التي يمارسها الأهل لتجنب موت أطفالهم، ولكننا ذكرنا البعض منها. وسنتناول المعتقدات الشعبية المتعلقة بمرض الأطفال بالتفصيل في الفصل الثاني.

[1] – ينظر: مقابلة شخصية مع مبروكة شمسة، 79سنة، حي الغربية، حاسي خليفة، 12-06-2014، 16:40.

[2] – أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي ،ص 241 .

* – الخمسة: هي صفيحة معدنية على شكل كفة اليد وتكون مصنوعة من الذهب أو الفضة أو النحاس.

[3] – ينظر: أحمد السعيد يونس، العادات الشعبية في طب الأطفال ،ص 30 .

المبحث الرابع: عادات وتقاليد تنشئة الطفل

شغل الطفل حيزا كبيرا في دائرة العادات والتقاليد الشعبية، وقد نال ما له من اهتمام، وذلك منذ ولادته وأيامه الأولى في الحياة إلى أن تسلّمته مرحلة الصبا والشباب. ومهما اختلفت الثقافات وتنوعت فقد كان الطفل الجوهر الأساسي فيها وولادته هي البداية لتشكيل دورة الحياة، وفي التراث الشعبي عادات وتقاليد كثيرة في تربية الطفل كانت تمارسها الأجيال الماضية، وهذه الممارسات تكشف عن مواجهة المشكلات التي يمر بها الأهل مع طفلهم ولاسيما في سنواته الأولى، وهي مواجهة تقوم على كثير من البراءة والحماسة والتفاؤل والحرص والحذر والرغبة والخوف ... إلخ، ومن الطبيعي أن حديثنا عن عادات تربية الطفل وتنشئته تقتصر إلا على الخطوط الأساسية في حياته. ويمكن تصنيف العادات والتقاليد التي تتعلق بتنشئته إلى أربعة أنواع: منها نوع تطيري، ونوع احتفالي، ونوع علاجي ،ونوع تربوي، والتصنيف هنا مبدئي فقط ويمكن أن نلاحظ تصنيفات أخرى وهي في كل الأحوال تتداخل وتتقارب ويتصل بعضها ببعض[1].

1- النوع الأول: عادات وتقاليد تطيّرية

وهذه العادات والتقاليد يكون الدافع فيها تمني وقوع شيء معين للطفل، ورجاء حصوله في المستقبل، كالتفاؤل عند دفن سرة الطفل في الخلوة لكي يصبح في المستقبل إماما، وكذلك اجتناب شيء وعدم تحققه تشاؤما مثل لبس المولود العياشة لكي يعيش ويتجنب الموت.

ومن العادات التطيرية نذكر:

تعليق صرة من الكمون الأسود في اليد اليمنى والرجل اليسرى للمولود في اليوم الثالث من ولادته، وهذا لكي يبعد عنه القرينة ويرد عين الحسد والحاسدين[2].

" تسمية المولود باسم جده إذا كان ذكرا وباسم جدتها إذا كانت أنثى ولاسيما إذا كان المولود الأول في الأسرة. وكذلك تسمية المولود باسم أحد مشاهير العصر أو التاريخ، أملا أن يصبح مثله وعدم تسمية المولود باسم مولود سابق كان قد توفي تشاؤما من اسمه، وبعض الأسماء يتطير الناس منها مثل اسم يوسف لما كان يوسف النبي قد عاناه من كيد إخوته له"[3].

---

[1] - ينظر: أحمد زياد محبك ،من التراث الشعبي، ص 241.

[2] - ينظر: مقابلة شخصية، مع تجانية شراحي، 22 - 02 - 2014 ، 10: 40.

[3] - أحمد زياد محبك، المرجع نفسه ،ص242.

"عدم إلباس الولد ثوبا وردي اللون تشاؤما من لونه الذي يشبه لون الدم، ويشبهه أيضا بالثوب الذي يلبسه من يصاب بمرض الجذري.

تصبغ يد الأطفال بالحناء ليلة عيد الأضحى، ابتهاجا بالعيد وأملا في أن يساعدهم ذلك على العثور على اللقائط"[1].

"تشاؤم الأم من نوم رضيعها وقت الغروب، ولعل مرد ذلك أن الوقت المذكور يعتبر وقت صلاة، ولذلك تضع تحت وسادته خوصة نخل خضراء، وإذا لم تتوفر خوصة نخل فإنها تنثر فوق غطائه أوراق شجر أخضر"[2].

عندما يعطس الرضيع يعتقد أن المرض قد خرج من جسده، وهناك عبارات جرت العادة أن يردّدها الأهل عندما يعطس الرضيع وهي: "طار الشر فوق الشجر والحجر، وكذلك يقال له: غدة الشر وتطْشَر... على الشوك والحجر ،وأيضا: عمتك شرقت وفي البحر غرقت "[3]

يتشاءم من الطفل الكثير البكاء، وبكاؤه ينذر بالمصائب، ولذلك تلجأ الأم إلى عمل شكل مشابه له من قطعة قماش، وذلك بواسطة الخيط والإبرة، وتضع فيه خرزة زرقاء، وتعلق قطعة من القماش في مهد الطفل، وبعد مضي فترة من الزمن، وعندما يترك الطفل البكاء المستمر فإن والدته تأخذ القطعة المشابهة له وترميها في منطقة بعيدة عن البيت[4]. ويبدو أننا هنا أمام نوع من السحر التشابهي، فالأم عندما تخيط بالإبرة قطعة القماش وتجعلها شبيهة بطفلها ثم تضعها في مهده فهي هنا قامت بالسحر التشابهي. ويعتقد أن الطفل الكثير البكاء أنه قد غير بطفل آخر من الكائنات غير المرئية وعندنا تعلق الأم قطعة القماش المشابهة لطفلها على مهده فإن الكائنات غير المرئية سوف تأخذها وتترك طفلها، ولذلك يتوقف الطفل عن بكائه المستمر، وبعد فترة من الزمن ترمي الأم قطعة القماش بعيدا عن البيت حتى لا يعود طفلها إلى البكاء وتنصرف عنه تلك الكائنات.

ومن العادات الشائعة في بعض المناطق أن يأتي أهل المولود إلى رجل صالح يحظى بقيمة اجتماعية جيدة في مجتمعه ويعطى له الطفل ويطلب منه أن يبزق في فمه ويقول له: "عطيتك ريقي بش تبع طريقي "[5] ويتفاءل بهذا للطفل كثيرا ،ويعتقد أنه عندما يكبر سوف يشبه ذلك الرجل في المستقبل.

[1] – أحمد زياد محبك ، من التراث الشعبي، ص 242-243.

[2] – ناجح العموري، المرجع السابق.

[3] – مقابلة شخصية مع خضرة ومباركة شراحي، 20 -03- 2014 ، 13:30.

[4] – ناجح المعموري، المرجع السابق.

[5] – مقابلة شخصية مع الحاجة بشيرة عوينات، 16 -02- 2014 ،20:10.

ويتفاءل بالطفل كثيرا عندما يلحسوه الصمق *، ويعتقد أنه سوف يصبح في المستقبل إماما في المسجد أو معلما في المدرسة، وتقول الحاجة هنية: "أن الملائكة بعد ثلاثة أيام يلحسوه الصمق بش يجي قراي وحافظ القرآن"[1].

2- النوع الثاني: عادات وتقاليد احتفالية

وهناك عادات وتقاليد في تربية الأطفال احتفالية ويكون الدافع إليها تكبير الأهل عن فرحتهم وسرورهم بحدوث تطور جديد في حياة الطفل أو بلوغه مرحلة معينة عن عمره ومن أمثلتها.

مشي الطفل:

يستطيع الطفل الجلوس عند سن ستة إلى ثمانية شهور، ويستطيع بعد شهر أو شهرين أن يتحرك زحفا على بطنه مثل الدودة، وبعد فترة على أربع مثل الجمل، وإن كانت الأغلبية من الأطفال تسير في سن ستة أو بعدها حتى عمر عام ونصف، أي أن القدرة الطبيعية على السير لدى الطفل الطبيعي يكون من بين عشرة إلى ثمانية عشرة شهرا، وإن تأخر الطفل عن المشي فإن أمه قد يصيبها القلق والذعر عليه، وقد تلجأ إلى ممارسة بعض الطقوس التي تعجل بمشيه، فقد تربط ساقي طفلها خلف خلاف بزعزوعة قصب خضراء ويحبس هكذا أمام باب المسجد وقت صلاة الجمعة وفور انتهاء الصلاة تطلب الأم من أول مصلي يغادر المسجد أن يفك رباط ساقي الطفل[2]، وفي مناطق أخرى قد تربط قدما الولد بخيط رفيع من إبهام القدم إلى إبهام القدم الأخرى، وتوضع في حجرة قطع صغيرة من النقود والحلوى ثم توضع الولد في باب المسجد يوم الجمعة وقت الصلاة وأول من يخرج المن المسجد يقوم بقطع الخيط ويأخذ ما في حجر الولد من نقود وحلوى ظنا أن ذلك يعجل في مشي الولد[3].

وترتعش قدما الطفل ورجله عندما يقف عليها ويمشي لأول مرة وقد يصيبه الخوف من مخاطر الوقوع ولكن الأم تشجعه وتساعده على ذلك، ومن العبارات التي ترددها الأمهات عندما يبدأ طفلها في تعلم المشي:

"الحِمْشِي يالحِمشِي الحِمْشِي يالحمْشي
إنْشَاء الله بِكْـبَار ويوَلِي يِمْـــــشِي"[4].

---

* – الصمق: مادة تشبه الجير يكتب بها على الألواح في المساجد.

[1] – مقابلة شخصية مع هنية عوينات، 24-02-2014، 10:30.

[2] –ينظر : أحمد السعيد يونس، العادات الشعبية في طب الأطفال ، ص 101.

[3] – ينظر: أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي ، ص246

[4] – مقابلة شخصية مع تجانية شراحي، 23-04-2014، 16:40.

وكذلك: "اتهد يا بير قدام الصغير، وأيضا:

"نخلة وقف ولا طاحت يا ربي يثبت عروقها"[1]

ويقال له كذلك: "داش داش داش ولدي كبر وعاش"[2]

ومن خلال هذه العبارات يتجسد لنا الهاجس الكبير الذي يتشكل للطفل عندما يضرب بخطواته على الأرض لأول مرة، وهذه العبارات والأقاويل ما هي إلا مرآة تكشف عن نمط المعيشة في مجتمع من المجتمعات فالنخلة والبئر والعروق، المشي.....، وكلها ألفاظ تجسد بيئة ريفية بدوية .

وهناك ممارسات تقوم بها الأم خوفا على ابنها من مخاطر الوقوع أثناء المشي حيث تقول الحاجة مباركة: "الصغير كيبدأ يمشي تهزه أمه ولا واحدة من أخواته وتلوح حجرة في بئر وتقول: لوحنا الحجرة والبعرة وفلان ما يجيش في قعره"[3]. أي الحجرة التي رمي بها في البئر هي من أجل سلامة الطفل، و كذلك حتى يأمن شر البئر ولا يسقط الطفل فيه.

وفي صعيد مصر يقوم الأهل بالاحتفال بهذه المناسبة حيث يصنع ابتهاجا بذلك "الشواء"، وهو نوع من المعلاق أي الكبد والقلب والكلى والطحال تشوى ويدعى إليها الأهل والأقارب والأصحاب ويوزع منها على الجيران والعادة أيضا أن يقدم المدعون هدايا للطفل في هذه المناسبة[4].

أسنان الطفل :

تبدأ أسنان الطفل بالظهور ما بين خمسة إلى ثمانية شهور وقد تظهر عليه أعراض مختلفة مثل :كثرة القيء، الحمى، الإسهال، السعال، آلام الرأس والأذن... الخ، وتقول الحاجة مباركة: "الصغير كيبدأ ينبت في السنين تجري كرشه، وتجيبه السخانة، وكاين من ينبت بأذنيبه وكاين من ينبت بصدره، وكاين صغير يجيء تنبيته ساهل ما يظهر عليه شيء "[5].

ونظرا لتلك الأعراض التي تظهر على الطفل فقد تؤدي إلى إصابته بالمرض ولذلك تسارع الأم لإجراء بعض الممارسات التي تجد من آلامه وتعجل بظهور أسنانه، ومن ذلك تقول الحاجة كلثوم غريبي: "بكري الصغير كيبدأ

[1] – مقابلة شخصية مع الحاجة عائشة كشوط، 21-04-2014 ، 17:30 .

[2] – المرجع نفسه.

[3] – شرح المقولة : الطفل عندما يبدأ تعلم المشي تأخذه أمه أو إحدى أخواته إلى البئر وترمي حجرةً وبعرةً(البعرة هي الفضلات البعير) فيه ،حتى لا يسقط الطفل في قاع البئر. مقابلة شخصية مع الحاجة مباركة شراحي :18-02-2014 ،15:00

[4] – ينظر : أحمد زياد محبك ،من التراث الشعبي، ص 244.

[5] – شرح المقولة : الطفل في فترة التسنين يصاب بالإسهال والحمى وكذلك آلام الصدر ، وقد يستطيع البعض من الأطفال التغلب على هذه الفترة مقابلة شخصية مع الحاجة مباركة شراحي، 18-02-2014 ،16:30

ينبت السنين يذبحوله شرشمانة ويحكُوها في فمه هي حامية» ويعتقد أن لحم الشرشمانة وهو ساخن سوف يساعد على ظهور الأسنان[1].

وفي بعض المناطق قد يصنع الأهل احتفالا بهذه المناسبة ،وتسمى هذه الاحتفالية بتشيشة السنين نسبةً إلى نوع الطعام الذي يقدم فيها، ويدعى لهذا الاحتفال الأهل والأقارب والجيران ويكون الأطفال هم العنصر الأساسي فيه وسترد لنا الرواية أحداث هذا الاحتفال فتقول: "كي ينبت الصغير السنين وتبان يفرحوا أهله بها ويديروا ل هـ تشيشة السنين، ويطلبوا التشيشة من عند سبع ة عشايش ويطبخوها ويديروها فطور ويخرجوا منها للجيران ويجيبوا زور نساء وشاملوا قصعة التشيشة ويحطوها فوق رأس الصغير ويأكلوا منها الحاضرين"[2] وفي اعتقادهم أن تأدية هذا النوع من الطقوس سوف يأمن على أسنان الطفل ويجعلها تكون بصحة جيدة وعافية.

وهناك عادات وطقوس أخرى تقام للطفل عندما يقلع سنه، ويذكر الدكتور خزعل الماجدي هذا الطقس ويعلق عليه كما يلي: في المحيط الهادي يردد الناس هذا الدعاء عند ما يقلعون أسنانهم ويرمونها: "أيها الفأر الكبير ... أيها الفأر الصغير... هذه سني القديمة ...خذها وأعطيني بدلا منها سننا جديدة"، ثم تلقى بالسن بعد ذلك فوق سطح البيت المغطى بالقش، حيث تقيم الفئران في العادة في تلك الأماكن المهجورة، وليس من شك في أن السبب في توجههم بذلك إلى الفئران بالذات أن أسنان الفئران هي أقوى أنواع الأسنان التي يعرفها الأهالي هناك"[3]، وفي بعض المناطق يأخذ الطفل سنه إذا أسقطت ويرميها باتجاه الشمس قائلا: " يا شمس عطيتك سن بهيم* أعطيني سن غزال"[4].

ويقول الأستاذ عبد المجيد التشاوي "ليست هذه عادة زماننا هذا فإن أهل الجاهلية كانوا يقولون أن الغلام إذا أغر رمي سنه في عين الشمس وقال: أبدليني أحسن منها آمن على أسنانه العوج والنعل "[5].

وطرفةالشاعر يقول:

"بدلته الشمس من مرتبه بردا أبيض مصقول الأثر"[6].

---

[1] – شرح المقولة : في القديم كان يذبح الشرشمان وهو حوت الصحراء ويفرك في فم الطفل عندما يكون في فترة التسنين . مقابلة شخصية مع الحاجة كلثوم غريبي ،28-03-2014، 19:40.

[2] – شرح المقولة :يصنع طعام من دقيق القمح ويوزع على الأهل والجيران ،ثم يأكل منه الحاضرون فوق رأس الطفل. مقابلة شخصية مع بشيرة عوينات 23-02-2014 ، 13:10..

[3] – خزعل الماجدي ،بخور الآلهة ، ص 41-42.

* – بهيم: حمار.

[4] – مقابلة شخصية مع الحاجة كلثوم غريبي ،28-03-2014، 20:10.

[5] – ناجح المعموري ، المرجع السابق .

[6] – المرجع نفسه.

قص الشعر:

يؤدي طقس قص الشعر بدون تحديد ومني معين، فقد يكون في العام الأول أو الثاني أو الثالث، وذلك يحسب رغبة الأهل في استطالة سعر الطفل، ولا يقص إلا شعر الذكور، أما الإناث فإن قصة الشعر الأولى عادة ترتبط بالزواج في معظم المناطق.

وإن عملية قص الشعر للطفل تحاط بكثير من الطقوس والقيود لأن الشعر كما نعلم أحد معلقات الإنسان التي ترتبط بوجوده ويمكن لمن يتحكم فيها بالسحر أن يتحكم بالطفل نفسه، وبالتالي يؤثر على حياته ومستقبله وهناك عادات وتقاليد مختلطة قد يمارسها الأهل ذكرا كان أم أنثى وقد يعامل الطفل الذكر نفس المعاملة التي تعامل بها البنت في سنواتها الأولى فاللباس التقليدي نفسه في كلا الجنسين على الرغم من اختلاف الألوان وكذلك الاحتفال بالسبوع، وتعتبر عملية قص الشعر رأس الطفل الذكر من العلامات الفاصلة بين الجنسين[1].

والطفل بهذه الممارسة أمام طقس من طقوس الانفصال، فهو ينفصل عن العالم الأنثوي الذي تتميز فيه البنت بشعرها الطويل على خلاف الطفل الذي يلجأ أهله إلى قص شعره بما طال ويتصل بذلك بالعالم الذكوري الذي يتصف فيد صفته من صفاته وهي قص شعر الرأس وعدم تركه يطول لأن هذا يقلل من رجولته وقيمته ويعتبر عيبا كبيرا أن يترك شعر الطفل الذكر مثل شعر الفتيات.

"ومن العادات التي تقوم بها الأم عند قص شعر طفلها أن تلم كل الشعر المتساقط وتحتفظ به وتأخذ خصلة منه كذكرى وتحرق الباقي"[2].

"وقد يلم الشعر المتساقط عند الحلاق و يوضع بمقدار وزنه شعيرا وترميه الأم في الماء، وبعض النساء لا تسلب طفلها (تحلق رأسه وتهدي سواره) إلا في أحد المراقد المقدمة التي اعتادت عليها"[3].

وقد يقيم الأهل احتفالا بهذه المناسبة ،وتصف الباحثة بلاكمان مشاهدتها لأحد الاحتفالات لقص الطفل لأول مرة، في إحدى قرى الفيوم حيث يوزع اللحم والخبز على المشتركين في الاحتفال، ويقام الرقص والغناء وتدق الطبول وتطلق الزغاريد، ويتقاضى الحلاق الذي يقوم بهذه العملية مكافأة مالية كبيرة، وتخضب يد الطفل وقدميه بالحناء قبل يوم الاحتفال بيومين، وبعد أن تتم عملية قص الشعر لابد من يأخذ الطفل حماما، ويرتدي طاقية خاصة، ويركب على ظهر حصان مقلوب (أي يكون وجه الطفل متجها تجاه ذيل الحصان) وتصاحبه الموسيقى إلى أن يصل إلى مكان الاحتفال في البيت[4].

---

[1] – ينظر: بوحبيب حميد ، الأشكال الشعرية الشفوية والبنيات الاجتماعية في بلاد القبائل، ص 384.

[2] – حميد بوحبيب، المرجع نفسه،ص385.

[3] – ناجح المعموري، المرجع السابق.

[4] – ينظر: عليا شكري، المرجع السابق .

وفي بعض مناطق الريف المصري يقص شعر البطن للطفل ويوهب لأحد المشايخ إذا كان الطفل مسلما، أو لأحد القديسين إذا كان الطفل قبطيا ويتم التصرف فيه بجذر شديد، ولا يقص هذا الشعر إلا عند قبر أحد الأولياء في مناسبة الاحتفال بمولده، ولذلك ينتشر في احتفالات الموالد عدد كبير من الحلاقين الذين يقومون بقص شعر البطن للأطفال الصغار حيث يوهب ذلك الشعر للولي، وبعضهم يتصدق بوزنه م الا، وإذا اضطرت الأسرة إلى قص شعر الطفل ولم تتيسر لها زيارة ضريح الولي الذي وهب له الشعر، فإننا نجدها تقص شعر الطفل كالمعتاد، ولكنها تترك وسط الرأس خصلة، وتظل تلك الخصلة ذات شكل مميز وسط رأس الصبي إلى أن يتيسّر للأسرة زيارة الولي حيث يقص الشعر هناك[1].

خروج الطفل:

إن خروج الطفل لأول مرة من بيت أهله يعتبر طقسا من طقوس العبور، ويتم فيه تخطي عتبةالباب، والعتبة في حد ذاتها، كما يعتبرها فان جنيب علامة مادية فاصلة: "إذ الباب هو الحد، هي فاصل مادي ورمزي معا بين عالم غريب وآخر حميمي، والفصل بين عالم غريب وعالم أليف حين يتعلق الأمر بمكن عادي، بين المدنس والمقدس إذا كان الأمر يتعلق بمعبد وهكذا فإن تخطى العتبة بعين الالتحاق بعالم جديد ..."[2].

ولذلك تتخذ احتياطات عديدة لإنجاح هذا العبور بسلام أي دون أن يلحق الضرر بالطفل.

وفي بعض المناطق عندما يخرج الطفل ولأول مرة من البيت تقوم الأم بنثر الملح والكمون الأسود على عتبة البيت التي تخطاها الطفل، وتردد بعض الأقاويل، "تمشي بسلامة وترجع بالسلامة ،وسالمة يا سلامة رحنا وجينا بالسلامة"[3]، وهي تأمن عودة إبنها سالما إلى البيت، وكذلك تردد هذه المقولة:

"وِلْدي مِسْرح مِفَرَّحْ عن عِينْ الأنثَى والـذِكَرْ
ولدي مِسْرح مفرح عن عِين لي خَشْ ومَرقْ
ولدي مِسْرح مفرح عن عين الشَمْس والقِمرْ"[4].

فتخطي الطفل عتبة البيت إيذان بانخراطه لاحقا في عالم الآخرين في حين أنه قبل ذلك لم يرى النور –أي لم تقع عين إنس عليه باستثناء أهله– فالأم تحرص على حماية طفلها من القرينة وعين الحاسدين ، ويتجاوز الطفل عتبة البيت وقد يذهب إلى بيت الجيران أو الأهل والأصحاب فتقدم له الهدايا مثل الحلويات والعطور والألعاب

[1] – ينظر: محمد الجوهري، الطفل والتنشئة الاجتماعية،ص53.
[2] – بوحبيب حميد، الأشكال الشعرية الشفوية والبنيات الاجتماعية، ص 360.
[3] – مقابلة شخصية مع مطيرة بريك 81 سنة حي الغربية حاسي خليفة، 18-06- 2014،19:10.
[4] – المرجع نفسه

بحجة أنه أول مرة يدخل فيها البيت، ويعتقد أن الطفل إذا دخل البيت أول مرة ولم يقدم له شيء فإنّه في المستقبل سوف يخرب متاعه ويكسر أوانيه المنزلية، لذلك يستحسن أن يهدى إليه أي شيء عند دخوله للبيت لأول مرة.

أعياد الميلاد :

تعبر أعياد الميلاد عن المكانة التي أصبح الطفل يحظى في أسرته، ومنذ القدم كان الفرس والإغريق يحتفلون بعيد ميلاد الشخص لإحياء ذكرى الأجداد ودعم صلة المرء بأسلافه، والاحتفال عندهم لم يكن احتفالا بالشخص المحتفل به نفسه بقدر ما كان احتفالا بالمقدس أو الإله الذي كان يحمي ذلك الشخص ، وبدأ الاحتفال بعيد المسيح نفسه في القرن الرابع الميلاد[1].

"وفي بعض المناطق يحتفل بيوم ميلاد الطفل من كل سنة، ويصنع الأهل ابتهاجا بإكماله الحول، حيث تقدم شمعة بطوله إلى ضريح أحد الأولياء الصالحين حتى يبلغ الطفل من العمر سبع سنوات"[2].

3- النوع الثالث: عادات وتقاليد علاجية

وهناك عادات وتقاليد شعبية لتربية الأطفال وتنشئتهم العلاجية حيث يكون الدافع إليها علاج مرض طارئ أو الوقاية من مرض شائع ومن أمثلة ذلك:

علاج تأخر النطق:

"لعلاج تأخر النطق عند الأطفال تأخذ قطع صغيرة من الحلوى وتوضع في منديل ثم تغطى للخادم في المسجد ويضعها قرب ضريح ولي يوم الخميس مساءا إلى مساء يوم الجمعة فيأخذها الأهل ليطعموا الولد الحلوى، وقد يضاف إلى ذلك أن يضع الخادم في المسجد مفتاح باب المسجد في فم الولد، ويحركه يمينا ويسارا ثلاث مرات"[3].

وفي بعض المناطق قد تجمع أمُّ الطفل سبعة ألسنة من خراف عيد الأضحى من عند الجيران وتطْهوها ثم تقدِّمها لطفلها، وقد لا يستطيع الطفل أن يأكل كل هذا العدد من الألسنة ويعجز عن ذلك ولكن يجب أن يتذوق من لسان كل خروف، ويعتقد أن هذا الطقس العلاجي سوف يعجل بكلام الطفل، ويرجع هذا الاعتقاد في علاج تأخر النطق بهذه الطريقة لأن خروف الضحية لا يتوقف عن المأمأة ليلا ونهاراً لكونه وحيدا بدون زميل ولذلك يوصف لسانه كعلاج[4].

---

[1] -ينظر : محمد الجوهري، الطفل و التنشئة الاجتماعية ، ص 33-34.

[2] - أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي، ص 245.

[3] - المرجع نفسه، ص 246.

[4] - ينظر :أحمد السعيد يونس، العادات الشعبية في طب الأطفال، ص 33.

علاج ثدي الطفل :

من العادات والتقاليد الشائعة في كثير من المناطق أن يعصر ثدي الطفل المولود من ال لهن فورا ولادته ويقال أن ثدياه متورمان لأن الجنين في بطن أمه تصله التغذية من بطن أمه بواسطة الحبل السري والمشيمة، ولهذا فإن كل ما يحتويه دم الأم له تأثير على أنسجة الطفل، ويتجلى ذلك في الهرمونات الموجودة في دم الحامل حيث نجد أن الكثير من الأطفال ذكورا وإناثا تتورم أثدا ؤهم بسبب الهرمون الذي يصل جزء الخلايا اللبنية في ثدي الأم باليد في إفراز اللبن وذلك الهرمون يصل جزء منه إلى دم المولود يعطى التعليمات للخلايا اللبنية في ثدي الطفل فيتورمان وإذا عصرا فإنهما يفرزان لبنا، وهناك اعتقاد بأن الطفل يجب عصر ثدييه وإخراج كل اللبن منها... ويقول هذا الاعتقاد إن عدم عصر اللبن من ثدي الطفل يجعله يكبر ورائحة عرقه منفرة وكريهة، وهناك رأي يقول إن عدم تعصيرها يجعل رائحة الفم كريهة ورأي ثالث يقول بالاثنين معا[1].

علاج بشرة الطفل:

"عندما يولد المولود تكون بشرته ناعمة ورطبة وللحفاظ على هذه البشرة ولكي يكون وجهه غضا وردي اللون، طوال حياته غسلناه من أول لفافة بال فيها وهذا معمول به في أوربا"[2].

"وفي صعيد مصر يدهن وجه الطفلة بلبن الأم، وهذا لكي تكون بشرة وج ها ناعمة وخالية من التجاعيد عندما تكبر"[3].

ومن العادات الشائعة أيضا أن يدهن المولود بزيت الزيتون، حيث يدْلك جسده جيدا حتى تتلين بشرته وتبقى محافظة على رطوبتها وقد يضاف إلى زيت الزيتون بعض المواد مثل النفول والكمون الأسود المرطب.... وهذه المواد لها فوائدها الخاصة التي تحمي الطفل من كثير من الأمراض التي تصيب البشرة.

علاج المفاصل:

تعتبر القماطة في كثير من المناطق أفضل طريقة لعلاج مفاصل الطفل وتقويمها حتى تكون ع لى الحالة الطبيعية التي يجب أن تكون عليها، ولقد تحدثنا عنها فيما سبق بكونها عادة من العادات والتقاليد التي تمارسها الأم عن د الاهتمام بمولودها، بحيث يكون التقميط على الطريقة التقليدية التي اعتادت عليها أمهاتها وجداتنا وهو يكون تضميداً كاملا للجسم، ولا يستثني فيه إلا الرأس، وفي العادة يتم (كم ا لاحظنا ذلك مرارا) بواسطة أشرطة عريضة من القماش القديم الذي تم استرجاعه من فستان بالٍ أو قميص أو حتى من برنوس عتيق، ويكفي من ذلك أن

[1] – ينظر: أحمد السعيد يونس، المرجع السابق، ص 74.

[2] – بيار كانا فاجيو، معجم الخرفات والمعتقدات الشعبية في أوربا، ص 186.

[3] – أحمد السعيد يونس ،المرجع نفسه، ص 75.

يكون من قطن أو صوف كي يسهل عليه امتصاص العرق وتهوية الجسم بحيث تضع الأم وليدها ممتدا على ظهره بين ساقيها الممدتين ورأسه على الجانب الأيمن ثم تقوم ب دلك جميع مفاصله بالزيت، وتذر على إبطيه وما بين ساقيه ومؤخرته مسحوقا من تراب أبيض يدعى بودرة الطالك اليوم ، وفي القديم كانت تستعمل الحنة بدلا منه، ثم تعتمد إلى مدّ الذراعين والساقين في وضع مستقيم وتشبك اليدين ممتدتين على صدره ، ويبدأ التقميط من الأعلى أي من الكتفين إلى الأسفل، وفي كل مرة تحرص رفعه لتمرير شريط القماطة من تحته[1].

ويكون التقميط بشكل قوي تفاديا لانحلال الشريط وحدوث فراغات وتجعل الكتفين والأعضاء (القدمين واليدين والصدر) في وضع غير مستقيم مما قد يتسبب في تشوهات في نمو الأعضاء التي هي في طورها الهش الغضروفي في الأسابيع الأولى، ويستمر التقميط بتركيز شديد، وعين الجدة أو أي امرأة مسنة حاضرة، تراقب عن كثب لتطمئن على أن كل شيء يسير على ما يرام وتردد الأم البسملة كلازمة في كل مرة عند التقميط ، وعند انتهاءها من لف القماطة على الجسد كله، يتم تثبيتها وربطها في خمس أماكن: الصدر والمرفقين والكليتين والركبتين والكعبين[2]، ثم تحمل الأم الطفل برفق واضحة يدها على قفاه وتعلقه على رأسه وتحركه سبع مرات يمينا ويسارا وهي تقول:

" دَبْ دَبْ دَبْ دَبْ دَبْ دَبْ

الصّيد شقْ الْمُراحْ هزْ الكرومة وراحْ"[3]

و الصيد هو الأسد ويلقب بملك الغابة والأم عندما تقوم بهذه الحركة هي تعتقد أن الأسد قد أخذ عنق طفلها ،وهذا حتى لا يكون طفلها قصير العنق، ولذلك تسعى الأم في كل صباح إلى عمل حركات رياضية لعنق طفلها حتى يكون على حالته الطبيعية. وهناك عادات وتقاليد شعبية في تربية الطفل يصعب تصنيفها إلى أي نوع من الأنواع منها:

قص الأظافر:

إن عملية قص أظافر الطفل لأول مرة هي أمر بالغ الأهمية، ويحتاج إلى حرص وحذر شديد ين، وهذا لأن الأظافر هي جزء لا يتجزأ من جسم المولود شأنها شأن الشعر، فهي تستعمل في أعمال السحر، وقد يكون لها تأثير على مستقبل الطفل وحياته، ولذا تقوم الأم بتقليم أظافر طفلها بكل تحفظ وقد تحتفظ بتلك الأظافر ولا ترميها في القمامة ، ويتجنب قص أظافر الطفل الرضيع في شهوره الأولى حتى لا يؤثر ذلك على حياته ويصبح

[1] – ينظر : بوحبيب حميد ، الأشكال الشعرية الشفوية والبنيات الاجتماعية ، ص 368.

[2] – ينظر : المرجع نفسه، ص369-370.

[3] – شرح البيت : الأسد مّر بالمكان الذي ترعى فيه الغنم وسرق عنق الطفل . مقابلة شخصية مع خضرة شراحي ،28-05-2014 ، 19:30 .

حرامياً في المستقبل[1]، وعند قيام الأم بهذه العملية هناك طقوس معينة تلتزم بها في كثير من المناطق رغم اختلافها حيث تقوم بتقليم أظافر الطفل بالعرض دون الاستدارة مع الظفر حتى لا ينمو الجزء الجانبي منه ولا ينغرس في اللحم... بل يقص قمة استدارة الظفر فقط، و تترك الأجانب دون تقليم ويستعمل في ذلك مقص غير مدبب الأطراف ولكنه قاطع الحد.

ومن العادات والتقاليد الشائعة في تقليم أظافر الطفل الرضيع لأول مرة من أن يوضع في يده اليمنى خاتم من ذهب أو شيء من ذلك، وفي يده اليسرى بعض من النقود وفي اعتقادا بأن الطفل ذكرا كان أو أنثى عند إعطاءه منذ الصغر الذهب والنقود أنه سوف يصبح في المستقبل غنيا يملك ذهبا ومالا كثيراً[2].

فطام الطفل:

إن فطام الطفل هو انفصاله عن أمه، والفطام يقصد به الفصال أي منع الطفل من رضاعة ثدي أمه، ويكون الفطام حيث يبلغ الطفل من العمر عشرين إلى أربعة وعشرين شهرا ويعيش الطفل مدة الرضاعة على لبن أمه فقط ولا يعرف غيره إلا الماء أو لبن شاه أحيانا، إذا فقد اللبن من أمه اضطرت جارة أو قريبة لإرضاعه، وهم ينكرون هذا الرضاع لأنه يحرم الزاوج بينه وبين إخوته من الرضاع[3].

ولا تفطم الأم الطفل قبل العامين إلا إذا حملت عليه قبل ذلك فإنها تفطمه حتى لا يرضع لبن الغيْل، وهو لبن الحامل، ويعتقدون أنه يتسبب في مرض الطفل، وإذا وقع ذلك مرض الطفل قالوا أنه (مُغْيَّل) وكثير ما تأخذ الأمهات نصائح من العجائز والجدات في كيفية فطام طفلها وهناك عادات وتقاليد متبعة في ذلك، وقد تضطر الأم لإتباعها شيئا فشيئا حتى يفطم طفلها بدون أي مشاكل تضر بصحته، ومن النصائح التي تقدمها الجدات عدم فطام الطفل في فصل الصيف حتى لا يصاب بنزلة معوية ، وكذلك عدم فطامه قبل فصل الشتاء خوفا من أن يصيبه قرصة البرد في معدته، ويكون الفطام في نهاية الشهر أو أوله ولا يكون في وسطه، كما يجب على أم الطفل أن تبدأ بتحضير وجبة بالسمك بالصيادية أو شربة وتقدمها لطفلها يأكلها بما أنها تبدأ بتدريب طفلها على تناول الطعام مع أسرته أثناء كل وجبة[4].

ومن الطرق المتبعة أيضا في فطام الطفل أن تلطخ الأم حلمة الثدي بالصّبر (يكسر الصاد) وهي مادة مرة المذاق تسمى عندهم بمر الصبر، إذا طلب الطفل الرضاعة مكنته منها، فيحس بطعم المرارة فيترك الثدي ويبكي

[1] -ينظر: أحمد السعيد يونس ، العادات الشعبية في طب الأطفال ، ص 74

[2] - ينظر: مقابلة شخصية مع خديجة شمسة، 46 سنة، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 02-06-2014 ، 20:01.

[3] - ينظر: محمد المرزوقي، مع البدوي حلهم وترحالهم، ص 21.

[4] - ينظر: أحمد السعيد يونس، العادات الشعبية في طب الأطفال، ص 96.

ولإسكاته تشغله ببعض اللعب، أو تعطيه شيئا من اللبن أو السكر أو غير ذلك من المست حبات، كما يسارع أطفال الحي بإبعاده عن أمه، فيأخذونه بعيدا عنها، حتى ينسى الرضاعة[1].

ترقيص الطفل :

إن العلاقة الحميمة بين الأم وطفلها تكتشف عن عالم مملوء بالأغاني الشعبية والأشعار التي أعتادت أمهاتنا وجداتنا على تلقينها لأطفالهم، فالأم تغني لطفلها وترقصه بأغنيات بسيطة الكلمات، وهي ذات نغم راقص لينام أو يتسلى أو يتوقف عن البكاء، وترقيص الطفل أي مداعبته بحركات تؤديها الأم بيدها وهي ممسكة به ،وأن تهزه يمينا وشمالا وإلى أعلى وأسفل، وقد تقذف به إلى الهواء ثم تلتقطه بكلتا يديها مبتسمة في وجهه ومنشدة به بأغاني تُطْربهوترقصه[2].وسنعرض فيما يأتي هذا العنصر بالتفصيل.

4- النوع الرابع: عادات وتقاليد تربوية

وهناك عادات وتقاليد شعبية في تربية الأطفال هي من النوع التربوي ، وتكون لردع أخلاق الطفل وتقويمها، والدافع إليها هو تعويذ الطفل على سلوك حسن وتجنبه الأفعال غير الحميدة أو توعيته وإرشاده وتثقيفه ومن أمثلتها:

"تخويف الطفل بالضبع والغول والسبدلا وكيسلون والشيخ وشيخ الجب وشيخ المغارة كي يمتنع الطفل عن فعل ما أو لكي يقوم يفعل ما وغالبا من يلجأ الأهل لذلك لكي ينام الطفل أو يتناول طعامه.

والغول أو الغولة كائن خرافي يتصوره الناس على هيئة البشر، ولكنه من الجن كما يعتقدون، ويظنون أن له ذيلاً قصيرا ويأكل الأطفال"[3].

أما السبْدلا بفتح السين والدال وتضعيف اللام وهو كائن وهمي، لا شكل له يوحي الأهل إلى الطفل بأنه يبرز من خلل الجدار أو السقف، فيقولون: سبدلا شق الحيط وتدلّ ،ولعل الكلمة منحوتة من كلمتي: "السقف"و"تدلى" يوهمون الطفل بأن ذلك الكائن يتدلى من السقف.

وأما الشيخ فهو، كما يتصوره الناس، وكما يصورنه لأولادهم، الحامي للشيء وراعيه والمدافع عليه، وه م يجعلون لكل شيء شيخا، ولا سيما الأشياء المخوفة مثل البئر والسطح والمغارة والنهر ويخوفون الولد بشيخ تلك الأشياء كي يبتعد عنها[4].

---

[1] – ينظر: محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 21.

[2] – ينظر : بوحبيب حميد ، الأشكال الشعرية الشفوية و البنيات الاجتماعية ، ص 364.

[3] – أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي ، ص 246 و 247.

[4] –ينظر: المرجع نفسه ص 248

تعويد الطفل على الإقلال من تناول الإ يجام والحلويات والسكريات، والإكثار من تناول الخبز، توفيرا للطعام بسبب الفقر وكثرة العيال والغلاء، وهم يقولون في المثل: "الإدامة ندامة"[1] ويخوفون الأولاد بالديدان أي أن الإكثار من تناول الحلويات يسبب الديدان في البطن وأن الإقلال من الطعام كياسه ولباقة.

رواية الحكايات للأطفال لتسليتهم وتوعيتهم وتعريفهم عن عوالم غريبة ولوعظهم وإرشادهم وكذلك تعليم الأطفال الأحاجي والألغاز وتعويدهم على بطارحها لتنمية قواهم الفكرية.

"تعليم البنات منذ الصغر الدمى مع قطع القماش وتفصيل الثياب لها وتعويدهن على العناية بالمنزل وتدبير شؤونه، وذلك تعليم الأولاد الذكور على ألعاب القوى البدنية كالقفز والجري والمصارعة وتعويدهم على ممارستها.

تلقين الأطفال بعض الجمل والتعبيرات الجاهزة التي تتكرر فيها بعض الحروف لتعويدهم على النطق السليم بمثل تلك الحروف، وتمليكهم مهارات في الفصاحة وقوة التعبير، ومن تلك الجمل: خيط من حرير على خيط خليل ،وبلح تعلق تحت قلع حلب ، والجملة الأخيرة تقرأ حروفها من الشمال إلى اليمين، فتعطي الكلمات نفسها، كما لو قرأت من اليمين إلى الشمال"[2].

تعويد الطفل على الحشمة والحياء و توجيهه منذ استقلاله إلى المشي على قدميه وأول ما تلقنه الأم،احترام من هو أكبر منه سنا، وخاصة الشيخ والعجوز إلى جانب احترام الأب والجد، وطاعتهما طاعة عمياء.

ومن التقاليد المراعية في الحشمة أن يؤمر الطفل بأن لا يكلم والده في حضرة جده بل يجب أن يتوجه إلى جده بحديثه، وأن لا يجلس إلا عنده، وكأنه يجهل أ بله جهلا تاما، وكذلك الأب يتجاهل ابنه كأنه لا يعرفه، وإذا أخطأ الطفل وكلم أباه فلا يرد عليه، وإذا التصق به أو التجأ إليه أبعده عنه، وأخذه جده، وهذا نتيجة تقليد قديم في البادية، فالأب يستحي من أبيه فلا يكلم أطفاله، ولا زوجته في حضور أبيه (الجد) ولا يدخل بيته إلا في غفلة منه أيضا[3].

[1] – أحمد زياد محبك ، المرجع السابق، ص 249.

[2] – المرجع نفسه،ص 249.

[3] – ينظر : محمد المرزوقي، مع البدوي في حلهم وترحالهم، ص 25.

المبحث الخامس: هدهدة الطفل والغناء له

إن هدهدة الطفل والغناء له ظاهرة إنسانية عامة وجدت في كل الثقافات ولا تنفرد بها لغة أو ثقافة عن غيرها، وتستوي في ذلك ثقافات شعوب الأمازون بثقافات الأسكيمو والقبائل الأفريقية، وإن كانت معظم الأشعار والأغنيات التي وصلتنا تنسب في العادة إلى النساء والأمهات والجدات والخالات والعمّات... إلخ فإن بعضها على الأقل نسب إلى الرجال (والأجداد على الوجه الخصوص) في إشعار الأمهات من ترقيصات نسبت إلى عبد المطلب بن هاشم وهو يرقص ابنه الحارث.

"يا بيبي يا بيبي كأنه في العز قيس بن عدي"[1]

وقد نسبت ترقيصات كبيرة إلى مشاهير القوم في الجاهلية الإسلام من ذلك مثلا ما ذكره كمال الدين ابن العديم مما نسب للحسن البصري (21 – 110 هـ) وهو يرقص أبنه الأثير.

"يا حبذا أرواحُه ونفْسه وحبذا نسيمُه ومَلمَسُه

والله يبقِيه لَنا ويحرُسه حتى يجر ثَوبُه ويلبَسُه"[2]

وهدهدة الطفل هي غناء الأم بصوت رتيب وهادئ لطفلها في المهد حتى ينام والغرض من الهدهدة هو التنويم، أي مساعدة الطفل على النوم إذا جفاه النعاس، فحين يوضع الطفل في المهد يأخذ في التجارب مع والدته بإصدار المناغاة فتطرب الأم لصوته وتبدأ في مخاطبته والغناء له، ويلاحظ يوسف نصيب أن أغنية الرضيع تعتبر تعويذه سحرية تحصن بها الأم وليدها من كل الشرور المحدقة به لعين الحسود والأمراض وغيرها... وهي في ذلك تلوذ بقدرة الله وبحظوة أوليائه الصالحين[3].

ولتنويم الطفل جرت العادة أن تمارس الأم طقوسا لتساعدها في ذلك، وهي تأخذ شكل بس يط مركب: فيه إنشاد وتربية حركية لأعضاء جسم الطفل فالإنشاد يكون في البداية بصوت عال نسبيا يتيح للطفل أن يلتقط نبرات صوت أمه وما تريده منه وفي هذه المرحلة توصي الأم من حولها بعدم الإكثار من الرواح والمجيء وتطالبهم بالكف من إحداث الصخب كي يسهل حدوث التواصل مع طفلها، ثم تدعم ذلك بملامسة ابنها بيدها وتداعب أعضاء جسمه خاصة الأطراف العليا والسفلى مثل الرأس والشعر والكتف واليدين والرجلين... وبعدها تعمد إلى تقميطه وإرضاعه فينام نوما هنيئا.

"إن الأشعار والأغاني المؤداة في هذا الطور من التنويم تصب كلها في هدف واحد، هو نقل الإحساس بالاسترخاء والدفء والطمأنينة إلى الطفل"[4].

---

[1] – عمر الدقاق، الترقيصات والترنيمات في أشعار الأمهات، نقلا عن بوحبيب حميد الأشكال الشعرية الشفوية في البنيات الاجتماعية، ص364.

[2] – كمال الدين بن العديم ، الدراري في ذكر الذراري ، نقلا عن بوحبيب حميد الأشكال، ص365

[3] –ينظر: أحمد زغب، الفولكلور –النظرية –المنهج –التطبيق ، محاضرات في الأدب الشعبي، مرقونة، ص06.

[4] – بوحبيب حميد، الأشكال الشعرية الشفوية والبنيات الاجتماعية، ص 365.

وأغاني الرباج وهدهدة الرضيع كثيرة ومتنوعة في كلماتها وإيقاعها، وفي مضامينها، إذ تختلف المضامين بحسب اختلاف الناس في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغالبا ما تتضمن هذه الأغاني تمدحا بجمال الولد وبخصاله في المستقبل وأدعية واستبشارات بهذا الولد الذي سيكون في المستقبل ذخرا لوالدته [1]. كما تتمنى الأم أماني كثيرة كأن يكون سيدا في قومه أو يكون فارسا شجاعا يحمي الذمار أو يكون ناجحا في الدراسة أو يكبر ويلبس أمه الثوب الجديد، أو أن يأخذها معه إلى البقاع المقدسة أداء فريضة الحج وزيارة ضريح النبي (ص) وكذلك البنت فنجدها تصف محاسبها وتتباهي بجمالها وتبدي اعتزازها وفخرها بها كما أنها تتمنى لها زوجا مباركا، ويكون من أحسن الرجال وذو مال وثروة كبيرة وهي بذلك تتوجه إلى الله وأوليا ئه الصالحين وتتوسل إليهم لحفظ طفلها من كيد الحاسدين.

والرباج نوعان فالنوع الأول أغنية عامة صالحة لكل الحالات ينشدها الجميع والثاني، أغاني خاصة بامرأة معينة أنشدتها لهدهدة طفلها ومن الأغاني العامة هدهدة الطفل لينام:

" نَيّ نيّ نَيّ مِعاك رَبّي حَـــــيّ
نـيّ نيّ نيّ يا لي مَعـــَـزِكْ عنّي
نيّ نيّ نيّ إنشاء الله تِحِجْ وتِوَلي"[2]

ويغني له كذلك:

"الله اللـــــه الله الله اللـــــــه الله
مُحمد رســول الله سَعَدي لي صَلى وَراه
محلى ذِكره وما بنَّاهْ سعدْ مِنْ شَافــه وِرَاه
سَعَدْ مِنْ تِعْنىَ وَجَاه سَعَدْ من شِرب من ماه"[3]

وكذلك أغنية الفرح التي تستيشر الأم فيها بطفلها وذلك بقولها:

"سَعْدي بيه سَعْدي بيه يا رَبي يِخلـــــــيه
سَعْدي بولــدي جاني وحـَجـْجَني وأَدّاني
سَعْدي بها الـــــولد مَا جابه حِـــتى حَدّ
عنده الزين والـــــقد عنه قلْ هُوَ الله أحد"[4]

كما نجد في الأرياف المصرية أراجي ز مماثلة، ونلاحظ تشابه بعض الألفاظ التي تقال للطفل مثل لفظ: ننى بمعنى: نمْ ويستعمل لذلك بمعنى آخر.

[1] – ينظر، محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، ص 18.
[2] – مقابلة شخصية مع الحاجة خيرة عوينات، 23-02-2014 ، 17:30.
[3] – مقابلة شخصية مع خضرة شراحي ، 30-03-2014 ، 11:45.
[4] – مقابلة شخصية مع بشيرة جلول ، 14-06-2014 ، 20:40.

ومن ذلك أيضا هذه الأغنية التي تتمدح بها الأم بوالد الطفل (زوجها) وتصفه بأنه فارس لا تفارقه فرسه، وإن تلك الفرس مكرمة لا تأكل إلا القمح، يغير عليها فيأتي بالإبل، وعندما تعترضه امرأة (شبه الأريل أي لها عين كعين الغزال) يُسلم لها ناقة وجملاً (كناية عن كرمه) ويقول الناس إن ذلك الوالد (يفعل) أي أنه يفعل ما يريد فلا يرده أحد.

"بِيه اللهْ ، بِيه اللـــلْ سيدكْ* فَارسْ مهّول[1]
فرْسَه مرْبوُطة في الظــل ومنها شَعْرهْ ما تنسلْ
ما تأكُلْ كان قمح التَّلْ رُكبْ عليها وجاب الرِيل
عُرْضَاتهْ شبَّه الأرْيَـــلْ عقل لْيها ناقة وجمــل
وقالوا لي بيدكْ يَفْعَلْ"[2]

وتذكر كذلك هذه الأغنية:

"دامْ دامْ دامْ دامْ* بِيته مْبني مــن قُدام
يدعوا أخواله زُوزا أغنامْ وأخذلي زرْقه الوشامْ
يُكتفّها بالحـــــــزام ويْمَوَّتـــــها بالرزامْ
بكوشة* مَا تُرُدْ كَلاَمْ
دَايرَ لي بغلة وْقطيفْ ومِسّلحْ مقرون وسيفْ
ويخدّم خادِمْ وَ وْصيفْ
دامْ دامْ دامْ دامْ"[3]

وتكشف عبارات هذه الأغنية عن تمنيات الأم بالمستقبل الزاهر لولدها ، وذلك من خلال هدهدتها له ، فهي تتمتع بشجاعته وكرم هـ وبثروته الكبيرة التي تتمثل في غن م تين، وبزواجه بفتاة جميلة (زرقة الوشام) كما أن تجسد حقدها على كنتها، فتمدح ولدها بأنه يضرب تلك الزوجة بالرزام، (وهي قطعة خشب منجورة رأسها أكبر من يدها تدق بها الأوتاد وغيرها) حتى أنها لا تتكلم خوفا منه، ثم تقول أنه يركب البغلة ويملك القطيف (وهو نوع من الأفرشة الكبيرة المزركشة)، وتذكر سلاحه وهو بندقية ذات طلقين، وهي أحسن سلاح في القديم وسيف، وله خادم وخادمة سوداوان وذلك لازم لأهل الثروة والوجاهة.

* – سيدك = والدك
[1] – مهول = مجرب بهابه الناس
[2] – محمد المرزوقي، مع البدو وحلهم وترحالهم، ص 18.
* – دام = كلمة لا معنى لها
* – بكوشه = بكماء
[3] – محمد المرزوقي، المرجع نفسه، ص 19.

أما أغاني هدهدة البنت فإنها تقتصر غالبا على التمدح بجمالها وبالتمني أن يكون زوجها من عليه القوم. ومن ذلك الأغنية التي تصف لنا بجمال البنت، وطول قامتها وحسن شعرها وسواده حتى أن المشّاطات قد يقضين أسبوعا، أو نصف شهر في تصريحه وظفر خصلاته وتنظيمه، ويهرقن عليه كمية كبيرة من الزيت، وكميات من المواد المعطرة لدهنه وتعطيره

"مَسْمح زينك فصْل الْطلْ بَابُور مفَوّج بِقْـــــلاَعه
وعتيقك ع الصدر أنَهَـدْ هَا يا بنتي بايـــــتْ لِيلهْ
يبْغِيله منْ زيت مـــطر غير القصَّة والخرجـــلاتْ
يبْغِيله وَبـــــيه عَنْـــبرْ غِيرْ السُّنبل وإفلاحَـــات
جُمعهْ ولا نَصْـــف شْهر تِقاني فِيهْ الظفـــارَاتْ
نُطلبْ ربي نسْتغـــــفرْ لا نكْذِبْ بعْض الكِذْبات "[1]

وهذه الأغنية أيضا تفتخر بها الأم بإبنتها التي خطبها (الكاهية) وهو نائب الباي قديما أو نائب الوالي في عهد الاستعمار وتقول:

"سَلَّمْ بنتي البـاهية باعتْ عليها الكَاهْية
باباها مُوش مهَنِي وأمَّها مَا هي شاهْية"[2]

إن الأشعار التي توظف في الهدهدة أو التنويم أغلبها ذات غرض موحد وهو تغني الأم بمحاسن طفلها وتبيين ملامحه وجماله، حتى ولو كان واقع الطفل يتناقض مع ذلك، وهذا لأنها مدفوعة لذلك بغريزة حبها وعواطفها وأغلب هذه الأشعار تشترك في التفاؤل بمستقبل الطفل والتعبير عن الإعجاب به وتميزه عن أقرانه كما تشترك في الإيقاع العام الذي يميل إلى الهدوء والرقة والتكرار على وتيرة واحدة بصوت عذب يكون وسيلة لخلق جو من الاسترخاء والطمأنينة لينام الولد سعيدا هنيئا[3].

إن هذا النزوع إلى تبجيل البراءة وتقديسها لكشف حقا عن وجود مخزون إنساني مشترك، أو ما أشرنا إليه من قبل بالأفكار الأولية فالأمهات في العالم كله ينظرنا إلى أبنائهن نظرة إعجاب وقد يرنا لهن أنهم لا نظير لهم في الكون وأنهم دون سائر الأبناء ويؤكد ذلك المثل الشعبي الذي يقول: "كل قطط في عين أمه غزال"[4].

[1] – محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 20.
[2] – المرجع نفسه، ص 21.
[3] – ينظر: نبيهة محمد الزبيدي، ترانيم الأطفال، مجلة التراث الشعبي، السنة الثانية، كانون الأول 1970، ع4.
[4] – مقابلة شخصية مع خضره شراحي، 24-03-2014 ، 11:45 .

المبحث السادس: ختان الطفل

1- تعريف الختان:

-لغة:

"وهو من الخَتْنُ ويقال خُتِنَ الغلام والجارية يختنهما ويختنهما خَتناً، والاسم الختان والختانة، وهو مَخْتُون. وقيل الختن للرجال، والخفض للنساء والختان: موضع الختن من الذكر، وموضع القطع من نواة الجارية، قال أبو منصور هو موضع القطع من الذكر والأنثى: ومنه الحديث المروي: إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل"[1].

- اصطلاحا:

إن الختان مظهر ثقافي معقد لدى كثير من الشعوب، والشائع أن يتم الختان للذكور خاصة في المجتمعات العربية الإسلامية، أما ختان البنت فهو أقل انتشارا، والنظرة الدينية لكليهما تختلف، ذلك أن ختان الذكر واجب، والاتفاق عليه أكبر بين الفقهاء، وسأقتصر فيما يلي على ختان الذكور[2].

ويعرف ختان الذكور بأنه إزالة قلقة الطفل الذكر، وهي الجزء الأمامي من عضو الطفل التناسلي أو الجلدة المحيطة برأس العضو، وقد عرفت الثقافات الإنسانية البدائية منذ العصر الحجري paleolithe هذا الإجراء كطقس ديني يقوم به الشامان الذي لم يكن مشعوذا -كما يقول الماجدي- فقد كان يملك قدرات على التأثير ويلعب دورا أساسيا في طقوس التنشئة أو طقوس وشعائر العبور حيث يخضع لها الصبيان الذين يصلون إلى عتبة الشباب يخضعون إلى طقوس وشعائر قاسية [3] ويسمى الختان (بالطهور) بمعنى التطهير، وكأن الطفل يتطهر من النجاسة عند إجراءه هذه العملية.

"وقديما كان يختن على الطفل وهو في سن متأخرة، وغالبا ما يكون عمره فوق العاشرة "[4]، أما حديثا فلا يحدد وقت معين للختان بل يترك ذلك للفرصة السائحة مهما كان عمر الطفل، ولكن جرت العادة أن يختن قبل السابعة من عمره، وتختلف حفلات الختان باختلاف حالة العائلة المادية فالأغنياء يقومون حفلات كحفلات العرس، تذبح فيها الذبائح، ويقدم فيها للناس جفان الطعام.

---

[1] - ابن منظورة لسان العرب، باب الخاء مادة (ختن)ج4، ص26.

[2] - ينظر: محمد الجوهري، الطفل والنشئة الاجتماعية: ص30.

[3] - خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق، عمان، 1997، ص 51.

[4] - نضال فخري طه، المرجع السابق، ص175.

"أما الفقراء فيختنمون أي مناسبة كعرس مثلا، أو أحد الأعياد ليختنوا أبنا ءهم حتى لا يتكلفوا أي مصاريف"[1].

2- أهمية الختان ودلالته:

إن الجذور الأولى لعملية الختان أو الطهور تعود إلى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وقد وجد جول غاليوني في دراسته حول «السحر وعلم الطيافي مصر القديمة» أن المصرين أول من مارس هذه العادة، حيث سجلها الرحالة اليوناني هيردوت herdouts ضمن ملاحظاته أثناء رحلته إلى مصر وأثيوبيا في ذلك التاريخ. وأعدت على ذلك الدراسات التي ساقها الأركيولوجيون عن البقايا والمخلفات الأثرية فقد استمرت ممارسة تلك العادة شكل واضح بين العديد من القبائل العربية في عصور ما قبل الإسلام وزاد الإقبال على ممارستها بعد الفتح الإسلامي حيث أصبحت المجتمعات الإسلامية تقدم عليها بصورة متزايدة من بلاد الهند شرقا وحتى مراكش في الغرب[2].

الختان هو طقس من طقوس العبور من منظور فإن جن يف ومن نحا نحوه من الانثروبولوجي ين من أصحاب الاتجاه التاريخي التطوري، كما أنه يعتبر طقس تأسيس من زاوية نظر الاثيرويولوجي ين الثقافيين المعاصرين وعلى رأسهم بورديو، فهو يعني أن ممارسة الختان للطفل ما هي إلا تأكيد على ذكوريته وإزالة الاعتباط بأنوثته بعد إجراءه هذا الطقس التقليدي. ويعتبر الختان من بين المحطات الرئيسية في رحلة الإنسان عبر الحياة والتي تدل على تجاوزه مرحلة الطفولة ودخوله عالم الرجولة أو الشباب[3].

وتعتبر عملية الختان عند المصريين القدامى طقسا دينيا فهي تجرى في المعبد بإشراف الكاهن، كما مارسه السومريون والبابليون والأشوريون[4].

أما في الديانات الموحدة فاعتبرت عملية الختان حفظا للعهد بين الرب والإنسان يمثله شخص أبرام (إبراهيم الخليل) فقد ورد في الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين: "ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين بنته ظهر الرب لإبرام وقال له أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملا فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثير جدل (.....) وأما

[1] – محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 22.

[2] – ينظر: محمد عباس إبراهيم، المدخل إلى الأنثروبولوجيا النسبية الثقافة والمعتقدات الشعبية، ج1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1992، ص 195.

[3] – ينظر: بوحبيب حميد، الأشكال الشعرية الشفوية والبنيات الاجتماعية، ص 389.

[4] – ينظر: نضال فخري طه، المرجع السابق ، ص175،170.

أنت فتحفظ عهدي وأنت نسلك من بعدك في أجيالهم هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم يختن منكم كل ذكر، فتختتنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم"[1].

أما في الإسلام فلم يولى الختان تلك الأهمية التي أولتها له الديانة اليهودية، فلم يرد في القرآن الكريم، كما أن الأحاديث التي ذكرته فقد اعتبره من الفطرة وعطفته على مظاهر النظافة الأخرى كتقليم الأظافر وقص الشارب والاستعداد (الاختلاف بالجديد) ونتف الإبط[2].

إن الممارسات والطقوس geremonirs المصاحبة لعملية الختان لا تقل أهمية عن تلك الممارسات التي تمارس في مناسبات الزواج والزفاف، والسبب في ذلك أنها تحمل مضمونها رمزا اجتماعيا، حيث يشير المعنى الرمزي لعملية الطهور والبقاء التي تمكنه من المشاركة في ممارسة الصلوات والعبادات الدينية، كما أنها تشير إلى فكرة النظافة والوقاية الصحية التي تحمى الطفل من بعض الأمراض التي قد تصيب أعضاء جسمه الجنسية.

إن الشعائر والممارسات المرتبطة بالختان والطهور تحسد أهم المعتقدات والعادات والتقاليد والقيم، والمبادئ الأساسية المرتبطة بالبناء الاجتماعي، والثقافي المتميز وذلك لأن الشعائر والممارسات السلوكية إنما تعتبر ذات تأثير هام فيما يتعلق بتشكيل ذاتية الطفل وشخصيته، كما أنها تعد من بين الخصائص والعوامل الأساسية في عملية التنشئة الاجتماعية، حيث يكتسب الطفل من خلاله عضوية جديدة على نطاق المجتمع المحلي[3].

3- عادات وتقاليد الختان:

يعتبر موسم الختان من العادات والتقاليد الشعبية التي لا تقل مظهر الاحتفال بها عن الأنماط السلوكية بالأعياد الدينية وفي الكثير من المناطق جرت العادة أن يكون موسم الختان في الأيام الأولى من شهر ربيع الأول، وهو المسمى بشهر المولد وفي هذه الأيام تحتفل المساجد بإنشاد القصائد الدينية في مدح الرسول (ص) وخاصة في عيد المولد وهو ليلة الثاني عشر وصباحه، كما تفضل ليلة والقدر كذلك لإجراء الختان في بعض المجتمعات الإسلامية يحضر الأم والجدة كمية من الأعشاب المعطرة، مثل الورد والزعفران واللبان والسرغين والمردقوش والعطور السائلة، وذلك لصنع قلادة الطفل المختون والتي تسمى (الجلاب)، كما تحضر الخيوط اللازمة لنصب الراية ونظم القلادة وكذلك المواد الغذائية المعدة للوليمة وخاصة الشاة السمينة[4].

أ- الرايـــة:

[1] - الكتاب المقدس، سفر التكوين الاصحاح السابع عشر، طبعة الشرق الأوسط الحديثة.

[2] - ينظر: ورد الحديث في صحيح البخاري، هذا نصه (الفطرة خمس: الختان وقص الشارب وتقليم الأظافر ....)، ينظر: صحيح البخاري، دار الفكر، ج7، ص 56.

[3] - ينظر: محمد عباس إبراهيم ، المدخل إلى الأنثروبولوجيا الطبيعية، ص 203-204.

[4] - ينظر: أحمد زغب، الفولكلور -النظرية -المنهج -التطبيق، ص 11.

من أهم الطقوس التي تراعى في عملية الختان نصب الراية، حيث تخبر الأم والجدة قريباتها في الأماكن القريبة ليحضرن يوم السبت (في العادة حتى يكون الختان يوم الاثنين)، وتنصب الراية على عصا من جريد النخل طولها حوالي متر ونصف، وتربط فيها خيوط حمراء وخضراء وبيضاء، وتتجمع النسوة من الأقارب والجيران في الصباح الباكر للغناء على الراية وبعدها ترش بالعطر وتعطى لشاب يافع ليلصقها في أعلى السقف بكمية من الجبس من جهة الشرق إن الأغاني والأهازيج التي ينشدها النسوة على الراية عبارة عن عبارات شعائرية كالصلاة على النبي (ص) أو الثناء عليه، ومن أمثلة ذلك:

"سَبَقَّت رَبي والصلاة على النبي من سبق الله يا محمـــد يا علي
سبقناك وما سبقنا حد معاك هـــــــــــيا يـــــــــــا ربي
هذا النهار لمبارك ولآخر سعيد اللي حضر محمد وسيدي عبيد"[1]

ومن أمثلة الآراجيز التي تنشد من وحي المناسبة:

"ندِيرْ لِوِلْدِي رَايَـة وزغاريد من لُوحة لَفْجَارْ
يُجِيبُولِي بَنَاتْ الدَّايَة اللّي بَعَّدَنْ عَنِي بالدَّار"[2].

وبعد نصب الرايتي تقوم النسوة بتحضير مرق من دشيش القمح أو الشعير ويوزعون منها على الجيران، ويجتمع البنات ويقمن حلقة للعناء والرقص إلى غاية منتصف النهار حين يجتمعن للغذاء.

إن دلالة نصب الراية في مكان مرتفع من سطح المنزل للإعلان الذي يصحبه الفخر بالولد الذكر لأنه عزوة وفخر لأهله في المجتمع الشعبي، أما الألوان فإن مواكب الأولياء يحملون منذ القديم رايات حمراء أو خضراء وتحتمل أن تكون راية الطهور حميت لهذا الرايات[3].

ب: الجلاب:(القلادة)

بعد اليوم الذي تنصب فيه الراية يحضر للجلاب وهو عادة يوم الأحد من أيام حفل الطهور، حيث يجتمع النسوة لصنع القلادة وهي المسماة بالجلاب فيحضرن الأعشاب وعددا من قطع القماش الأبيض، وشريطين أخضر وأحمر، كما يحضرن الأعشاب المعطرة السابقة الذكر: (زعفران والقرنفل والقمام والعود القماري والجاوي والمستكة والورد واللبان والسرغين... الخ).

ويخضن في دقها وخلطها على إيقاع الأهازيج والزغاريد، ثم وضعها في عدد من الصرر، ست صرر والسابعة قطعة قماش حمراء، وبعد صبع الصرر البيضاء بالزعفران تصبح صفراء اللون إلا واحدة تبقى حمراء، ثم ينظمن هذه الصرر في خيط طويل مفتول مكون من اللون الأبيض والشريطين الأحمر والأخضر يكون بمثابة القلادة، ويربطن

[1] – مقابلة شخصية خضرة شراحي، 20-04-2014، 14:30 .
[2] – مقابلة شخصية الحاجة مباركة شراحي، 13-02-2014 ، 20:00.
[3] – ينظر: مقابلة شخصية مع الزهرة عاد، 30-07-2014، 18:00.

فيها بعض الهدايا كالصدف وسكين صغيرة وذيل أرنب وناب ذئب ... الخ، أما الصرر فكما أنها مختلفة الألوان فهي مختلفة المحتويات فالصرر البيضاء تحوي الأعشاب المعطرة المذكورة أما الصرة الحمراء فهي تحتوي على الكمون الأسود ويغمسن هذه القلادة في العطور والزعفران، ثم يضعن رسلم بماء الزعفران على قميص الطفل شكل نجمة أو صليب، ولطخه من الفحم على جبينه، ويشترط في المرأة التي ترسم هذا الرسم ألا تكون تزوجت أكثر من مرة واحدة كأن يكون زوجها الأول قد توفي أو طلقها، ويحلق شعره ويلبس كبوسا أو طربوش أحمر[1]، ومن الأغاني التي تنشد بمناسبة ضع القلادة:

"يا غالي يدُومْ فرحك يا غالي
يا بِيتْ عِزِّي و دِلاَلِي
فَرْحَك نِتْعَنَّى له
حتَّى مريضه نَشْرَقَى له"[2]

وتذبح شاة الوليمة ليلة الأحد، ويدخر عرقوبها ليقدم إلى الطفل عند إجراء عملية الختان، ويستدعى الأقارب والأحباب والأصحاب إلى وليمة العشاء التي تكون يوم الجلاب أو يوم الختان، وتكون عادة من الكسكس المسقيّ بمرق اللحم والخضار، وقبل غروب الشمس يلبس الطفل لباس الطهارة وهو عبارة عن قميص وسروال من اللون الأبيض فيهما شريط من اللونين الأحمر والأخضر، ويجب أن يكون هذا اللباس واسعاً وفضفاض ويلبس كذلك الطربوش الأحمر ويقلد القلادة التي صنعت خصيصا له وتحمله الفتيات ويذهبن به إلى المسجد أو ضريح الولي الصالح إن وجد، وينشدن أهازيج تتعوذ من أعين الحاسدين وأشهر التعاويذ القولية من العين، الصلاة على النبي، أما التعويذات المادية فهي الخميسة والسمكة والودعة ... الخ[3].

- ومن بين الأهازيج:

"اللهُمَّ صَلِي عَلَى النَّبِي
حُوتَه تَمْشِي وحُوتَه تِجِي
يِلِمطهر زوج أولادْ
خَمْسَة في عُيُونْ الحُسَاد"[4]

[1] - ينظر: أحمد زغب، الفولكلور -النظرية -المنهج -التطبيق ، ص 13-14.
[2] - مقابلة شخصية مع فاطمه الأسود، 81سنة، حي20 أوت 1956 حاسي خليفة، 24-05-2013 ، 17:30.
[3] - ينظر: مقابلة شخصية مع الحاجة بشيرة عوينات، 13-08-2013، 10:22.
[4] - مقابلة شخصية مع الحاجة بشيرة عوينات، 13-08-2013، 17:40.

وعلى أهازيج النساء وزغاريدهن تخضب أيدي الطفل وقدمه بالحناء ثم يرد إلى أمه بعد تحصيل البركة من المكان المقدس (مسجد أو ضريح الولي الصالح).

ج- يوم الختان: الطهارة

في يوم الصباح الاثنين يجتمع الأهل والأقارب من الأحوال والأعمام وكذلك الجيران ويلبس الطفل ثياب الطهارة ويضع على رأسه الطربوش و يعلق على صدره القلادة ويحضر الشاي والقهوة واللبن والرفيس وهو فتات الخبز المغموس في السكر والسمن، والبيض المسلوق وتوضع الصينية أمام هؤلاء الضيوف الذين ينتظرون الطهار وهو الشخص الذي يقوم بعملية الختان، ويتناولون الإفطار وبعد حضور الطهار تأخذ النساء في الضرب على إناء يحدث صوتا قويا وينشدن بأعلى صوت حتى لا تسمع الأم صراخ ابنها أثناء عملية الختان ومن بين الأهازيج:

طهر يا لمطـــهر صحح الله يديك
لا توجع وليدي ولا نغضب عليك [1]
الطهار جـــانا وجاب جـــيرته [2]
والليلة سعيـــدة عند أميـــــــمته
طهر يا مطـــهر بالموس الجـــديد
لا توجع وليدي قلب أمه رقـــيق
نادو أولاد عمه وين عـــمه مـــنه
لوحله الدراهـــم عـــن بـــشارتـــه [3]

ويذكر محمد المرزوني الطريقة التقليدية للختان المعمول بها في البوادي التونسة، حيث يحمل الطهار في يده (مقصا) (حلما صغيرا) حديد الشفرة، ويمسك الطفل مفرج الرجلين، فوق قصعة مقلوبة ثم يقطعها بسرعة بواسطة المقص بدون تحذير، فيطلق الطفل صرخة مؤلمة ويقدم إليه عرقوب الشاة حتى يضرب به الطهار فيحتملها الطهار باشا ضاحكا، والمقصود من هذه الصفعة هو الإيحاء إلى الطفل بأنه تأر لنفسه من الطهار، فستريح نفسه المتألمة وبعدها تأخذه أمه بعيدا عن حلقة الطهار.

وتضع تحت المكان السائل دمًا بي ضة دجاج تسبح فوقها تلك الدماء وتسارع إلى تعقيم جر حه، وبعدها تستقبل الهدايا من المهنئات من الأقارب والجيران [4].

[1] – شرح البيت: طهر يا لمطهر إن الله كتب الله الصحة ليديك ولا تؤلم وليدي حتى لا اغضب عليك.
[2] – شرح البيت: إن الطهار قدم إلينا ومعه أدواته.
[3] – شرح البيت: الأموال المهدية من الأقارب تعطى للطفل المختون بعد طهارته.
[4] – محمد المرزوقي، مع الجنو في حلهم و ترحالهم، ص 21.

إن أهمية الأغاني والأهازيج التي تقال في حفل الختان تستوى على مضمون واحد وهي الصلاة والسلام على النبي (ص) والدعاء إلى الله والتوسل بصحابته وبأوليائه الصالحين بأن يبارك لهم في الطفل، وأن يكبر ويصبح رجلا ويتزوج الفتاة الجميلة ويكبر الله من أمواله وأولاده وغير ذلك من هذه الأمنيات.

خلاصة الفصل الأول

تناولت في دراسة الفصل الأول الطفل في مرحلة طفولته الأولى، بداية بطقوس الحمل، حيث درست هذه المرحلة بدءا من انقطاع الطمث عن المرأة الحامل ثم مرحلة الوحم وأهم مظاهرها الفيزيقية والاجتماعية كما درست موقف الأدب الشعبي من هذه المراحل التي تمرّ بها المرأة الحامل و ذلك بتسجيل النصوص الأدبية والتي تتمثل في الأغاني والأهازيج التي تردّد في هذه المراحل، وبعدها انتقلت إلى الولادة وكيفية الاستعداد لاستقبال المولود سواء كان ذلك من حيث الأسرة التي تتكفل بالأطعمة التي تخص الواضعة والألبسة التي تخص المولود وغير ذلك، أو حيث المرأة الحامل واستعدادا للوضع، ثم درست العادات الخاصة بالوليد والتي تبدأ بالعناية بالأم بعد الوضع ثم العناية المقدمة إلى الوليد والتي تشمل العناية بالخلاص والحبل السري والممارسات التي تجري عليها يهدف المحافظة على حياة الطفل وحفظه من الكائنات المرئية وغير المرئية كما تناولت طقوس تسميه الوليد والاحتفال الذي يقام يوم السبوع وما هي وضعية هذا الاحتفال ودلالته الاجتماعية، وكذلك الأغاني التي تردد من وحي هذه المناسبة ثم تناولت المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل بدءا بحياته في بطن أمه ثم خروجه إلى العالم الخارجي بعد عملية الولادة وبعدها المعتقدات الخاصة بالولادة والطفل والرضيع وكذلك المعتقدات الخاصة بموت الأطفال، ثم انتقلت إلى العادات والتقاليد التي تمارس في تربية الطفل ورعايته وأهم أنواعها منها العادات والتقاليد التطيّر والاحتفالية والعلاجية والتربوية، كما تعرضت في دراستي إلى الأغاني والأراجيز التي تقال في تنويم الطفل وترقيصه ومناغاته وكذلك درست ظاهرة ختان الطفل الذكر، وأهميتها على المستوى الاجتماعي ودلالته الطقسية، والعادات والتقاليد المراعية في هذه العملية .

الفصل الثاني:

الطب الشعبي والطفولة

الفصل الثاني:

الطب الشعبي والطفولة

المبحث الأول: الممارسات العلاجية الشعبية لأمراض الطفولة

المبحث الثاني: المتخصصون بالممارسات العلاجية لأمراض الطفولة

المبحث الثالث: طرق وأساليب علاج أمراض الطفولة

المبحث الرابع: الطقوس المشهورة في العلاج السحري

المبحث الخامس: أمراض الطفولة وعلاجها

المبحث السادس: تجليات الطب الشعبي والطفل في الأمثال الشعبية

المبحث الأول: الممارسات العلاجية الشعبية لأمراض الطفولة

إن موضوع الممارسات العلاجية الشعبية للأمراض التي تصيب الطفل في طفولتهم من إحدى الموضوعات المعقدة التي تحتوي على كثير من التفاصيل والعناصر المتداخلة فيما بينها، وتتبلور هذه الممارسات العلاجية في اتجاهين رئيسيين هما:

I العلاج الشعبي الطبيعي:

هو النوع الذي يستخدم فيه المواد الطبيعية الخاصّة الموجودة في الطبيعة ويعتبر هذا الفرع من الممارسات المرتبطة بالطب النباتي أو الطب الأعشابي في العلاج كنتيجة أولية للعلاقة بين الإنسان والطبيعة، أو بين الإنسان وبين بيئته التي يعيش فيها، والتي تتضمن على ردود الأفعال والاستجابات المبكرة لسعي الإنسان في علاج أمراضه عن طريق الأعشاب والنباتات الطبية ، كما أنه استخدام الحيوانات بلحومها وشحومها وكذلك الحشرات والزواحف والطيور وكذلك مياه الأنهار وغيرها من خيرات الطبيعة، وإن كل هذه الثروات الطبيعية مكَّنت الإنسان عن طريق التراث التجريبي الطويل من اختيار كفاءتها جنبا إلى جنب مع النباتات الطبيعية[1].

ويتضمن هذا النوع من العلاج الشعبي الطبيعي ما يلي:

1- التداوي بالأعشاب الطبيعية:

لعل أقدم تاريخ للعلاج هو التدواي بالأعشاب والحشائش والنباتات التي تنمو على سطح الأرض وتنبت في الأماكن الرطبة والضلال وفي الأنهار وفي المياه الراكدة والبحيرات والمروج والشعاب . ومازال التداوي بالأعشاب مستمر إلى يومنا هذا في شكل علاج شعبي طبيعي و يطلق عليه اسم "دواء العرب" أي استخدام العلاج الذي استخدمه القبائل العربية في القديم ، ويسمى كذلك "بالحشاوش" وتشير الدراسات إلى أن استخدام العرب للأعشاب قد أخذوه عن شعوب أخرى وأضافوا إليها الكثير ، وهناك العديد من الوصفات الشعبية للكثير من الأمراض والعلل التي تصيب الجسم، وذكرت لنا الحاجة مبروكة حكمة مشهورة في هذا المضمار حيث قالت : "كل شجرة نابتة فيها حكمة ثابتة"[2]. وقد تستخدم هذه الأعشاب والنباتات تارة في صورتها الأولية وتارة أخرى وهي سائلة وكذلك قد تطحن أو تغلى وتمزج مع غيرها لتشكل وصفة تفيد في العلاج.

وعليه سنذكر أهم الأعشاب والنباتات المشهورة في الممارسات العلاجية الشعبية لعلاج الأمراض التي قد تصيب الطفل.

[1] – ينظر: محمد عباس إبراهيم، المدخل إلى الأنثروبولوجيا الطبية، ص 18.

[2] – مقابلة شخصية مع مبروكة علال، 78 سنة، حي الهمائسة حاسي خليفة، 14-10-2014، 16:10.

أ– الأعشاب البرية: مثل الحلف بر، الشيح، الحرجل، الطلح، الأراك، الغزال، وجميع هذه الأعشاب يعرفها بَدَوِي البشارية*، جيل الأجداد والآباء على أنها أعشاب برية تنمو فوق سفوح الجبال وفي الوديان وتعرف معظمها بلونها الأخضر في بداية نموها ثم يتغير لونها بعد جفافها إلى اللون الأصفر وتتميز في مجملها بالرائحة النفاذة والطعم غير المستساغ، ولذا يراعى عند إعدادها سواء بالغلي أو الطحن أن يضاف إليها السكر أو العسل الأسود قبل تناولها، ومن هذه الأعشاب.

– **الحلف بر:** وهو من الأعشاب البرية المشهورة يتوفر في البيئة الصحراوية، ويشرب منقوعا أو مغليا مثل الشاي لعلاج المغص وآلام المعدة ولإدرار البول في حالة احتباسه لدى الطفل المصاب بمرض الكلى، أما في حالات نزلات البرد الشديدة فتضاف إليها بعض أوراق شجر الغزال والحرجل ويغلى الخليط معا ويحلى بالسكر[1].

– **الحرجل:** وهو من النباتات الصحراوية ويشرب بعد غليه في الماء وتحليته بالسكر لعلاج المغص، ويستعمل كغرغرة لعلاج اللوزتين والحلق بدون تحلية.

– **أوراق الأراك:** وهي صغيرة الحجم كأوراق النعناع تجمع من على سفوح الجبال وتجفف وتستخدم لعلاج آلام الكلى وانتفاخ البطن ويكون ذلك بأن تنقع الأوراق في الماء الدافئ لمدة 3 – 4 ساعات ثم يقدم كمشروب بدون تحلية، كما يستخدم لعلاج القروح الجلدية وذلك بعد خلطه بمواد أخرى وهي كما يلي: يحضر دهن الماعز ويتم تسخينه حتى الغليان ثم تضاف إليه أوراق الأراك المطحون ويمزج حتى يصير سائل غليظ القوام، ثم يصب على الحروق وهو ساخن[2].

– **الشيح:** وهو من الأعشاب المشهورة لعلاج الزكام وارتفاع درجة الحرارة والكحة، ويتم ذلك بغلي الشيح وشربه بعد تحليته بالسكر، أو حرقه أوراقه على قطعة من الفحم المشتعل واستنشاق الدخان المتصاعد منه وذلك لإيقاف رشح الأنف وسحب الرطوبة حتى يتمكن الطفل المصاب بالزكام بعد ذلك أن يتنفس بسهولة ،كما يستخدم مشروب الشيح بعد طبخه في الماء لتنظيف وتسريح عروق القلب[3]. ويذكر الشيخ عبد الله، أنه مفيد لحريق المعدة. حيث يسّف بعد طحنه ولا يطبخ [4]كما يستخدم الشيح لعلاج البثور التي تظهر على الجسم وخاصة الوجه فيغلى ثم يغسل به الأماكن المصابة بالبثور لمدة سبعة أيام وإذا لم تختف البثور تعمل عجينة من الثوم المهروس ويضاف إليها الملح والزيت وماء الشيح المغلي، وتمزج العناصر السابقة وتوضع على الأماكن لمدة 3 – 6 أيام،

* – البشارية: وهو قبيلة في منطقة أسوان في مصر.

[1] – ينظر: نجوى عبد الحميد سعد الله، الطب الشعبي لقبائل البشارية في منطقة أسوان، ص 17 و 18 .

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 18.

[3] – ينظر: مقابلة شخصية مع مسعودة بالنور، 72 سنة، حي الشهداء حاسي خليفة، 23-01-2014، 14:32.

[4] – ينظر: مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الله لعبيدي، 73 سنة، حي العبائدة حاسي خليفة، 22-09-2014، 17:40.

ويؤكد المعتقد الشعبي على فاعلية هذه العجينة لحفظ الأجزاء المصابة من التعرض للجو المملوء بالتراب والشوائب وكذلك تمنع تكوين الصديد، وتساعد على زواله من الجسم[1].

– **الدمسيسة:** نبات طبي وهي عبارة عن أعواد رفيعة تتدلّى منها حبوب صغيرة ذات لون رمادي غامض، تستخدم عادة لعلاج المغص الكلوي، حيث يقوم البشاريون بطحنها وغربلتها حتى تصبح كالبودرة ثم تغلى بالماء ويشترط أن تقدم ساخنة بدون تحلية وأن يتناولها المريض على الريق بعد الاستيقاظ مباشرة، وقبل النوم في المساء[2].

– **ورق شجر الغزال والجنباء:** ويستخدم أوراق شجر الغزال لعلاج السعال وذلك بعد غليه وتحليته أو إضافة ورق الجواقة والحرجل إليه ويغلى حتى يصير مزيجا ويشرب لمدة 3 – 4 أيام صباحا على الريق وفي المساء، أما أوراق شجرة الجنباء فيستخدم لعلاج مرض الحصبة، فيحرق هذا الورق على فحم مشتعل ويتعرض المريض لهذا الدخان وتستمر هذه العملية لمدة من 2 – 3 أيام صباحا وبعد صلاة المغرب، وبغرض القضاء على الطفح الجلدي الذي يسبب الألم وارتفاع درجة الحرارة[3].

كما تستخدم كثير من النباتات في صورتها الطبيعية أو تدخل عليها بعض التعديلات في شكلها، أو إضافة عناصر أخرى إليها بغية استنباط وصفات وقائية وعلاجية للأمراض التي تصيب الطفل في مراحل طفولته، ومن هذه النباتات، الحلبة والثوم والحناء والشندقورة والكمون الأسود والأخضر والكروية الكسبرة والبصل والنعناع والقمام والعرعار والزنجبيل وحب الرشاد والعفصة والقرنفل والقرفة وعرق السوس وزريعة الكتان وغير ذلك من النباتات الطبيعية التي تستخدم لعلاج الأمراض.

2– التداوي بالحيوان:

استخدم الإنسان في ممارسته العلاجية الطبيعية الحيوانات بلحومها وشحومها كما استخدم مخلفاتها في الاستشفاء مثل مرارة الأغنام، و كذلك استخدم كافة أنواع الحشرات والزاحف والطيور ومخلفاتها التي اهتدى لتجربتها في العلاج، وكما تقول الحاجة الغايمة: "تهزوا سقشة* من الحيوان على حسب المرض لي يعاني منه المريض وإنداووه بيها"[4] وسنسرد مجموعة من الحيوانات ووظيفتها العلاجية في الأمراض التي تصيب الطفل.

[1] – ينظر: نجوى عبد الحميد سعد الله، الطب الشعبي لقبائل البشارية، ص 17 –18.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

* – السقشة: وهي كلمة باللغة العامية ويعني بها الجزء.

[4] – مقابلة شخصية مع الغايمة الفار، 68 سنة، حي المزاقة حاسي خليفة، 22-04-2014، 09:30.

– **الشرشمان:** وهو نوع من الحيوانات الزاحفة وهو يتواجد في المناطق الصحراوية ويستخدم الشرشمان في علاج تأخر النطق عند الأطفال حيث للطفل شرشمانة وتنظف وأحشائها ثم تحك على لثة الطفل بدون أن تغسل بالماء[1].

– **الخروف:** وهناك معتقد شعبي شائع في كثير من المناطق في علاج تأخر الكلام عند الطفل، حيث يطبخ له لسان خروف عيد الأضحى ويقدم له ليأكله [2] ،كما تستخدم لمرارة الخروف للطفل الحديث الولادة والذي استنشق رائحة قوية حيث تجفف مرارة الخروف ثم تطحن وتعطى لطفل.

– **الماعز:** يستخدم لحم الماعز في علاج الطفل الذي يعاني من مرض اليرقان ،كما تستخدم مرارة الماعز في علاج الشعيرة التي تصيب العين، حيث تسحق مرارة الماعز بعد أن تجفف، ويضاف لها النشادر وبعدها تنتف الشعيرة ويكتحل الطفل بمسحوق المرارة[3].

– **البويا:** وتستخدم في علاج انتفاخ اللوزتين حيث تذبح البويا ويخرج ما في أحشائها وتجفف وتأخذ قطعة منها وتوضع على اللسان ويتفاعل الملح الموجود فيها مع اللعاب ويبدأ في جذب الميكروبات والتعفنات الموجودة في الحنجرة وتخرج في شكل لعاب من الفم ،وهناك من يطحنها ويأكلها في الحساء[4].

– **دم القنفد:** وتستخدم هذا الحيوان في علاج الطرش وثقل السمع عند الطفل حيث يؤخذ دم القنفد بعد ذبحه ويقطر به في أذن الطفل المريض، وتكرر العملية 3-4 مرات، أو تعرض أذن المريض إلى الدخان المتصاعد عن حرق الشعر القنفد، وتكرر هذه الممارسة العلاجية مرة أو مرتين، بعدها يشفى المريض وتعود له القدرة على السمع[5].

3- التداوي بالعناصر الطبيعية:

استخدم الإنسان الكثير من العناصر المستمدة من البيئة الطبيعية، في علاج الأمراض التي يتعرض لها الأطفال ووظّفها بوصفها مصدرا من مصادر العلاج الشعبي، ونذكر منها على سبيل المثال: الرماد، ماء الندى، طمي المطر، تراب الجبل، الحجر الجبلي... وغيرها.

[1] – ينظر: مقابلة شخصية مع خضرة شراحي، 23-04-2014، 20:15.

[2] – ينظر: المرجع نفسه.

[3] – ينظر: مقابلة شخصية مع الحاجة عائشة كشوط، 01-09-2014، 18:00.

[4] – ينظر: مقابلة شخصية مع تجانية شراحي، 29-02-2014، 19:30.

[5] – ينظر: نجوى عبد الحميد سعد الله، الطب الشعبي لقبائل البشارية، ص29.

-مياه المطر وتراب الجبل: (الطمي) إن من المعتقدات الشعبية لدى الكثير من الشعوب تعتقد أن مياه الأمطار لها القدرة على شفاء كل الأمراض ويؤكد ذلك أقوال المعالجين: "ميه المطرة فيها شفاء لكل الأمراض زي العسل النحل" [1]، حيث يستخدم الطمي كوصفة علاجية لسعة النحل وذلك بفرد الطمي على مكان اللسع، وتكرر هذه العملية حتى يتم الشفاء، كما يستخدم الطمي لعلاج الجروح العميقة بعد أن يضاف إليه اللبن حتى يصبح عجينة لينة وتفرد هذه العجينة على الجرح عدة مرات حتى يلتئم.

-ماء الندى: وهي قطرات الماء التي تتكون على النباتات في الساعات الأولى من الصباح، ويستخدم كوصفة علاجية للخلقة (الفجعة) ولعلاج الطفل المحسود، وعادة ما يتم تجميع المياه بواسطة المعالج وذلك يوضع إناء في مكان مفتوح (تحت السماء) لتجميع الندى على مدى عدة أيام بشرط أن يكون عدد الأيام فرديا، أي يوم أو ثلاثة أو خمسة أو سبعة أيام، إلى أن تتجمع كمية مناسبة في إناء، بعد ذلك يقوم الطبيب الشعبي يسكب هذه المياه على الطفل المحسود، ويكرر ذلك حتى يتم الشفاء[2].

-الهلال: ويستخدم كوصفة علاجية للطفل الذي صرته منتفخة حيث يعرض ثلاثة مرات لهلال يوم الخميس من كل أسبوع وتقول الحاجة مريم: "تقابل الصغير لثلاثة هلة، ولازم يكون هلال يوم الخميس، وتهزه أمه وتحطه فوق رأسها وتقول: "يا هِلَيْل* يا هَلُولَ نحي علينا ها البلبول*"[3].

كما يستخدم الهلال كذلك في علاج الثالول وتؤخذ ورقة من شجرة الكرمة ويعصر السائل الموجود في أغصانها على مكان تواجد الثالول ويعرض الطفل المصاب له إلى الهلال ويرود هذه الترتيلة:

"يا هِلاَل يا هَلُول نَحِي عَنِي هَا الثَلُول"[4]

-الحديد: ويستخدم معدن الحديد كوصفة علاجية لعلاج الطفل المخلوع حيث يؤخذ سكين الحديد الذي صنعه الحداد ويسخن في النار حتى يحمر لونه ويوضع فجأة على رقبة الطفل المخلوع[5].

وفي الكثير من المناطق يعتقد أن للمعادن قدرة كبيرة على حماية الإنسان من ضرر الكائنات الخبيثة وحفظه من عمل السحرة: ويؤكد ذلك قول أحد الإخباريين: "المعدن ده هو لينعمل منه سلاحنا السكين والخنجر والسيف

---

[1] – ينظر: نجوى عبد الحميد سعد الله ،المرجع السابق، ص 30.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* – هليل: تصغير لكلمة هلال.

* – نحي علينا ها البلبول: أي انزع من الطفل مرض انتفاخ الصرة.

[3] – مقابلة شخصية مع مريم حميداتو، 72 سنة، حي الشوائحة حاسي خليفة، 14-09-2014 ، 18:00.

[4] – المرجع نفسه.

[5] – ينظر: مقابلة شخصية مع فضيلة عوينات، 48 سنة، حي20 أوت 1956 حاسي خليفة، 14-09-2014، 10:30.

يعني هو اللي يحمي الزول منا، عشان كده إحنا بنحب نلبسه ونعتقد فيه أنه يحرسنا ويحمينا من الشيطان اللي هو السبب في الفزع مر النوم"[1].

II العلاج الشعبي الغيبي:

ويرتبط بمرحلة تمر بها المجتمعات والثقافات ويطلق عليها مرحلة ما قبل العلمية pré- scientifique ويسود فيها نوع من الطب الشعبي الاجتماعي الذي تعتمد طرقه وأساليبه العلاجية على ممارسات السحر والشعوذة والغيبيات مما أدى إلى ظهور مسميات محلية مثل الشامان shaman أو الطبيب الساحر والمعالجين الروحانيين وغيرهم من الدجّاليين وأصحاب المعرفة الطبية الشعبية[2].

ويستخدم هذا النوع من الممارسة العلاجية الطب الشعبي الغيبي والذي يتمثل في السحر الأبيض "وهو السحر الرسمي والشرعي والمفيد الذي كان يمارسه الكهان، وينقسم إلى سحر عمومي يمارسه الملوك الكهان، ويبغون منه خيرا عاما وتأثيرا في ظواهر كثيرة كالمطر والخصب والنصر وغير ذلك، والسحر المنتج أو الإيجابي أو الطلبي، الذي يمارسه كاهن مختص يبغي منه تحقيق شيء مرغوب، والسحر الوقائي أو السلبي أو التابو الذي كان الساحر المختص يتجنب به شيئا غير مرغوب، ومنها ما يفعله ضد السحر الأسود"[3].

ويهدف السحر الطبي الوقائي إلى غاية أساسية من الوقاية من الأمراض قبل حصولها عن طريق التعاويذ أو الرقي وتهدف السحر الطبي الوقائي إلى غاية أساسية هي الوقاية من الأمراض قبل حصولها وأثناء حصولها عن طريق التعاويذ أو الرقي أو الرقي أو التمائم، وعن طريق التشخيص السحري الذي يرجع المرض إلى أسباب شيطانية، فالمريض إنسان مؤمن بالآلهة وبالشياطين معا، ولذلك فهو يحمل استعداد نفسيا بأن الآلهة ستشفيه عن طريق تشخيص الشياطين التي تسبب الأمراض وطردها، وكان الساحر يستعمل كافة الآليات والوسائل والطقوس المناسبة لذلك، وكانت قراءة الرقي والتعاويذ التي تتم بمعونة الآلهة من أدهى أسلحتهم وأكثرها تأثيرا، حيث كان الكلام المرتب المنمق تأثيره أيضا وتصاحب هذه المقدمات طقوس سرّية معينة كانت تستخدم في وادي الرافدين كما عند أغلب الشعوب القديمة ويومنا هذا، وتتخلص هذه الطقوس باستعمال ألوان رمزية معينة وطرد الشر بالقوى عن طريق عقد الحبال أو الخيوط ذات الألوان، وباستخدام الدوائر والأرقام، وإظهار القوى الجاذبية أو الدافعة لعناصر معينة[4]، والتطهر بالماء وإضرام النار... وكانت هناك أنواع من التمائم والطقوس المرتبطة بها فكان

[1] – نجوى عبد الحميد سعد الله، الطب الشعبي لقبائل البشارية في منطقة أسوان، ص 36.

[2] – ينظر: محمد عباس إبراهيم، المدخل إلى الأنثروبولوجيا الطبية، ص 182.

[3] – خرعل الماجدي، بخور الآلهة، ص 30-31.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص 218.

بعضها يبدأ بدعاء للآلهة "يصف الكرب الذي يعانيه الآثم وأمله في الغفران وكان يرش على المريض ماء مقدس وتلقى قطع من اللحم حتى يمسك بها الشيطان فيفك قبضته على جسم المريض"[1].

وكان استعمال سبع قطرات للمريض وربط سبع عقد يتضمن معنى سحريا في الغالب معتمدا على سحر الأعداد ورموزها الإلهية والشيطانية[2].

[1] – خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 220.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 236.

المبحث الثاني: المتخصصون بالممارسات العلاجية لأمراض الطفولة

يلعب المعالجون الشعبيون دورا أساسيا في الحفاظ على الممارسات العلاجية الشعبية استمرارها، وب عاظم هذا الدور كلما كانت الخدمات العلاجية التي يقدمونها يعود عليهم بالمنفعة، سواء كانت هذه المنفعة مادية أو أدبية فالمحترفون منهم يحبون فيها موردا أساسيا للرزق، ومن ثم فإنها تكون بضاعتهم التي يحرصون على الترويج لها وحمايتها من الكساد، وغير المحترفين، الذين يقدمون هذه الخدمات تطوعا فإنهم يجدون فيها سبيلا إلى مرضاة الله أو كسب محبة الناس، وعلى الرغم من أنهم لا يتقاضون أجورا مادية بشكل مباشر وصريع، فإنهم ينفقون الأجر في صورة أخرى عديدة، كتدعيم مكانتهم الاجتماعية، بل قد يكون الأجر المحلي واكتساب بعض مقومات القوة الاجتماعية، بل قد يكون الأجر في بعض الأحيان مما يدخل في الخدمات والمصالح ومن ثم فإنهم يحافظون بدورهم على هذه الممارسات العلاجية ويعملون على بقائها واستمرارها، وستسرد فيما يلي أهل الخبرة وذوي الاختصاص في هذا النوع من الممارسات العلاجية الشعبية للأمراض التي تصيب الطفل[1].

1- الطلبة: (ج طالب): والأصل في الكلمة أن تطلق على حافظ القرآن الذي يستغل بتحفيظه للصبية ويؤم الناس في الصلاة، ولمن هؤلاء قد ينطلقون من الرقى إقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بقراءة القرآن والآيات والعلاجية منه، أي أن يرقى المريض بآيات القرآن للتبرك أو يشربها إياه في كأس من الماء، وقد يعلق له حجابا* لكي يلبسه ويحميه من الأضرار، وحين يشاع عن طالب أن يده مباركة، يأتي إليه الناس من القرى المجاورة أو البعيدة، وقد يتمادى الطالب في أعماله إذا أطلع على أحد كتب السحر لأن هذه الأخيرة مغلفة بطابع ديني ومنسوبة إلى علماء معروفين كالشيخ السيوطي [2]، ونلاحظ أن المجتمع المحلي السوفي كان قديما يتبرك بالقليل من الماء لعلاج مرض معين كان يأتي شخص إلى الطالب بماء في فنجان ويقرأ له ما تيسر من القرآن ويشربها معتقدا وطالبا فيها الشفاء، فيشفى بإذن الله فكما يقولون: "النية بالنية والحاجة مقضية"[3].

أما اليوم فنلاحظ أن الناس لا يرضون بالقليل وأص بحوا يميلون إلى إحضار القوارير وهم يعتقدون أن كثرتها سوف تعجّل في شفاء المريض [4]، وتقول الحاجة هنية: "إن الصغير لي مريض ويداوُوه بالأعشاب ومَا ببراشي *

---

[1] – ينظر: محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث المصري، ص 211.

* – الحجاب: تكتب بعض الآيات القرآنية في ورقة بالحبر الأحمر أو الأخضر وتوضع في كيس من الجلد حتى لا تتلف، وتوضع في مكان بعيد عن الأعين تحت الملابس أو بالجيب أو تحت الوسادة عند النوم.

[2] – ينظر: : أحمد رغب، جمالية الشعر الشفاهي نحو مقابلة سيمائية للنص الشعري الشفاهي، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة يوسف بن خدة الجزائر، 2007/2006، ص 106 – 107

[3] – مقابلة شخصية مع عبد الغني عوينات، 64 سنة، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 18-02-2014، 18:00.

[4] – ينظر: أحمد رغب، المرجع نفسه،ص 106 – 107.

* – يبراشي: لا يتماثل في الشفاء.

يدووه للطالب يقرأ عليه في أميه ويشربها وإلا يكتب له حرز ويعلقوه في صدره وإلاّ يحطوه تحت وسادته، ويعطوه ثلاث ورقات كل يوم يبخروله بها مع الحرمل والجاوي والكمون الأسود "[1] وفي اعتقادهم أن الأوراق عندما تحرق سوف يخرج معها المرض بعد ثلاثة أيام.

2- الطياحة: هي إحدى المعالجات الشعبية التي تقوم بعلاج الأطفال المحابين بالحسد وكذلك المسد وقد تختلف كثير من المناطق في تسميتها فتسمى بالكزانة والكركابة، والشباحة... إلخ لكن مضمونها وا حد وعلاج الطفل المحسودو حمايته من الأرواح الشريرة وحفظه من القرينة، "وفي دراسة الأثروبولوجيا عن فلاحي الصعيد تشير بلاكمان Blackman إلى تعدد أساليب الطب الشعبي خاصة للأطفال، نظرا الكثرة تعرضهم للأمراض ومن ثم كثيرا ما تلجأ الأمهات السحرة المتخصصين لعلاج أطفالهن بعمل الأحجبة وحمل التمائم لحمايتها من العين الشريرة والحسد أو أذى القرين"[2].

وتستخدم الطيّاحة في علاجها للطفل المريض أدوات خاصة قد ورثتها من أمها أو جدتها أو عمتها... إلخ وهذه الأدوات فيها شيء من القداسة والتبرك لا تكون في غيرها من الأدوات فهي مخصصة لعلاج المريض وشفاءه حين تنزع الغطاء التي تلفّ به رأسها الملفوف به وتأخذ عصا صغيرة وتفرش غطاء آخر على الأرض وتبدأ بالتطييح على المريض بلف الغطاء على العصا بعد طيّها من منتصفها وتقرأ سورة الفاتحة جهراً ثم تقول: "سَبَقَتْ سيدي قِدَام إيدي محمد مِ صرِدقي وعبيدي، عين الحسود وعين المسُود وعين الجماعة وعين القعُود، وعين أمك وعين باباك وعلى إللي ما يصليشي على رسول الله"[3]. ويرد الحاضر معها صلى الله عليه وسلم أو بعد ذلك تأخذ قليل من الملح والكمون الأسود وتسبعها عنه سبع مرات فوق رأسه وتضعه في الماء وتمسح بالماء كفيه وكتفه ووجهه وعينه ويديه اليمنى ورجله اليسرى وهي ترد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وتستنجد بأولياء الصالحين وتقول: "يا ربي والنبي ويا من عليه الداله"[4].

ثم ترمي بذلك الماء وتقول: "خوذها يا من عطيتها يجتاحك أديتها نايا بعتها وإنت شربتها "[5] وتطلب من أمه أن تبخر له طلوق أشفاع مع الجاوي ودادا النبي* وقت طلوع الشمس.

---

[1] – مقابلة شخصية مع الحاجة مباركة شراحي ، 13-11-2014، 16:00.

[2] – نجوى عبد الحميد سعد الله، الطب الشعبي للقبائل البشارية، ص 10.

[3] – مقابلة شخصية مع الحاجة كلثوم غربي، 13-12-2014، 10:15.

[4] – المرجع نفسه.

[5] – المرجع نفسه.

* – داد النبي: نوع من الأعشاب النباتية.

وهناك من يستعمل في علاجه البخور وشحمة الماعز مع عرعار بكوش[1].

3- الشباحة: وهي التي تكشف عن العمل المعمول لجلب الأضرار للآخرين ومن ذلك مثلا الإفشال بفلانة أو بأبنائها لأنها كثيرة إنجاب الذكور وكذلك موت الأطفال في يوم ميلادهم وأيضا تأخر الطفل عن الكلام وعدم قدرته عن المشي وغيرها من الأضرار التي تصيب الطفل.

وكثيرا ما تعالج الشباحة أمراض الطفولة التي يتعرض لها الطفل مثل الحسد وكثرة البكاء وعدم القدرة على المشي والعجز عن الكلام ....

4- أهل الخبرة: وهم من يتصفون بخصائص وسمات فريدة جعلت ممارساتهم للطلب الشعبي القائم على مجرد الممارسات السحرية أمرًا مقبولا لدى المجتمع وإن هذه الخبرة قد يورثونها لأبنائهم يضمنوا استمرارها وبقاءها عبر التاريخ، ويتخذ أهل الخبرة مادتهم من التراث المعرفي وخبرات كبار السن في إعداد وتجهيز واستخدام العديد من الوصفات العلاجية الوقائية، وقد تدعم هذه المعرفة من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية التي سمحت للأجيال الصغيرة بتقليد ومزاملة الأجيال الكبيرة أثناء إعداد هذه الوصفات وكيفية استخداماتها العلاجية والوقائية فهم يستخدمون عناصر البيئة من النباتات وأعشاب ودهون حيوانية وزيوت الطيور بعينة الوقاية والعلاج من الأمراض التي تصيب الطفل[2].

[1] - ينظر: مقابلة شخصية مع مباركة خلايفة، 24-09-2014، 18:30.

[2] - ينظر: نجوى عبد الحميد سعد الله، الطب الشعبي للقبائل البشارية، ص 38 - 39

المبحث الثالث: طرق وأساليب علاج أمراض الطفولة

تعددت الطرائق وتنوعت الأساليب في كيفية ممارسة الطب الشعبي الوقائي والعلاجي ولعل ذلك راجع إلى التنوع في استخدامه فمنه الطب الشعبي الطبيعي العقلاني الذي يتناول العناصر الطبيعية الموجودة في البيئة بطريقة تقليدية بالتداوي بالأعشاب والنباتات وكذلك التداوي بالحيوان وعناصر الطبيعة الأخرى ويضم العلاج بالممارسات اليدوية بالنار والتدليك والتجبير والحجامة والفصد والوشم .... وطب شعبي غيبي (روحاني) كاللجوء إلى الدين أو السحر والشعوذة أي القوى غير مرئية [1] وسنسرد فيما أهم العلاج في الأمراض التي يتعرض الطفل خلال طفولته.

- العلاج باستخدام الأعشاب الطبيعية والنباتات، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق.
- العلاج باستخدام الحيوان وعناصر الطبيعة الأخرى.

- العلاج بالكيّ: إن التداوي بالكي يتطلب إتلاف نسيج حيّ سليم أو مريض بمادة كاوية أو بحديدة حامية أو بمكواة كهربائية لغاية علاجية[2].

والكي هو من العمليات الطبية المشهورة الواسعة الانتشار في ثقافات علاجية متعددة ويعتبر أحد أنواع أساليب العلاج الشعبي المتوارث، بل وأنه من أقدم الأساليب العلاجية التي استخدمت منذ فجر التاريخ، وكان الناس يلجئون إليه طلبا للشفاء، فهناك اعتقاد راسخ بأن للنار مفعولاً علاجيا مؤكدا لاعتقادهم أن بعض الأمراض بسببها رطوبات فاسدة ويتم علاجها بالنار باستخدام أدوات وآلات حديدية لكيّ أحد أعضاء الجسم بعد تحميتها في النار وهذا ما اصطلح على تسمي ته عملية الكيّ [3]. والنار دواء لكل شيء ويروون في ذلك أسطورة تقول: "أن سيدنا موسى عليه السلام، لما كان راعيا يحرس غنم سيدنا شعيب عليه السلام احتاج لمداواة النعاج المريضة فأرسل له الله تعالى صرة من الدواء لذلك الغرض، فجاء الشيطان لعنه الله، ورمى صرة الدواء في النار المشتعلة، فاشتكى موسى عليه السلام إلى الله فقال له سبحانه وتعالى:-النار يا موسى دواء"[4].

وهناك مثل شعبي مشهور يتداول بين العامة "أخر الدواء الكي" وتفسيرنا لهذا المثل أن الكي هو قمة العلاج ونهايته بالوسائل الشعبية، والسبب يعود لخطورته وصعوبته.

---

[1] - ينظر: ابتسام علام وأحمد مجدي حجازي وآخرون، الصحة والبيئة دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية، الجامعة المصرية، القاهرة، 2001، ط1، ص 120.

[2] - ينظر: زينب عباس عيسى، المرجع السابق.

[3] - ينظر: المرجع نفسه.

[4] - محمد المرزوقي، مع البدوي في حلهم وترحالهم، ص 227.

وبالنسبة لأمراض الطفولة فيشيع استخدام الكيّ بالنار عند علاج القيء المستمر للطفل، وكذلك في حالة تأخر ظهور الأسنان إذا يقوم المطبب الشعبي بالكيّ في منطقة صدر المريض وبعدها يشفى [1]. كما يكوي الطفل المريض في مؤخرة عنقه في حالة علاجية في أمراض الحنجرة واللوزتين ويكوي على ظهره عند علاجه من أمراض الرئة، وعلى بطنه لمعالجة أمراض الجهاز الهضمي وكذلك على الساق والفخذ وأسفل الظهر عند اِرتخاء العضلات[2].

"وتتم عملية الكيّ بإحراق الجلد باستخدام أداة حديدية أو أي أداة أخرى وذلك بعد تحميها في النار ويطلق على الكيّة في بعض الأحيان لفظ رشمة بمعنى رسْمه، أو يطلق عليها الرقم وهي تعني الترقيم، وتأتي هذه التسمية نسبة إلى أن الكيّ، عادة ما يحدث علامة في الجلد"[3].

وعادة ما تبدأ جلسة العلاج بحديث قصير بين الكواء وأهل المريض وغالبا ما يستغرق ذلك الحديث الوقت الذي تحتاجه المكواة للتسخين، ويختار الكواء المكواة المناسبة للكي بحسب نوع المرض ومكان الكيّ، وتحمى المكواة على النار عن طريق وضعها في فحم متوهج، وتترك إلى أن تحتاج إلى تطهير المكان، فالنار يمكن أن تقضي على أي ميكروبات.

ولنجاح عملية الكيّ قمة شروط يجب مراعاتها منها ما يتعلق بالكواء كالطهارة وكذلك الخ برة والمهارة فلا يجب للكواء أن تكون له خبرة طويلة المدى وهناك شروط تتعلق بعملية الكيّ كتحمية المكواة ويفضل أن تكون تحميتها على الفحم وليس في الفرن وكذلك عدم تحذير المريض فلابد أن يشعر المريض بالآم الحرق دون تخفيف هذا الإحساس[4].

– العلاج با لفصد: وهو من بين الممارسات التي تشيع بين أعضاء المجمع لعلاج العديد من الأعراض المرضية والفصد يكون عادة بجانب العين وكذلك في وسط الجبين (الجبهة) أو أسفل الذقن ويؤكد المعتقد الشعبي أن السبب وراء هذه الأعراض المرضية هو وجود دم فاسد بجسم الطفل المريض وهو الذي بسبب هذه الأعراض، وبخروج هذا الدم يتم الشفاء وإنقا ذ حياة المريض من الموت ، وحسب قول الحاجة خيرة أن هذا النوع من العلاج مفيد جدا لعلاج كثير من الأمراض فكثير اً ما يصاب الطفل بحالات من الرعب والفزع الشديد وتكون هذه الحالات سببا في تسلل الأمراض إلى جسمه وعندها يكون ال فصد هو العلاج الشافي له وتقول: "كي يترعب

[1] – ينظر: نجوى عبد الحميد سعد الله، الطب الشعبي للقبائل البشارية في منطقة أسوان، ص42.

[2] – ينظر: محمد الجوهري، رشيد صالح والفلكلور المصري، دراسة لأعماله وفصول من تأليفه مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، (دم)، (دت)، ط1 ، ص 416.

[3] – زينب عباس عيسى، المرجع السابق.

[4] – ينظر: المرجع نفسه.

الصغير تجري كرشه ويجيه لقداف يدوه لطبيبة عرب ادير له الغرور وتشلطه وتكرفله دمه "[1]. أي أن الطفل عندما يصاب بالرعب يأتيه الإسهال ويكثر عليه القيء يأخذ إلى طبيبة تداوي بالأعشاب الطبيعية فتصبح له الغرور وهو خليط من الأعشاب والنباتات الطبيعة ثم تفصده بأداة حادة حتى يخرج منه الدم الفاسد، وبعدها تغمس إصبعها في الدم وتضعه في أنفه فإنه سيشفى بإذن الله.

– العلاج بالأحجبة والطقوس السحرية:

تختلف أساليب العلاج بالأحجبة والطقوس السحرية تبعا لنوعية المعالج وأهدافه فالساحر والمشعوذ والدجال يختلفون في استخدامهم للسحر سواء كان السحر وقائيًّ ا أو سحراً علاجيًّ فكثيرا ما يلجأ الأهل لأحد هؤلاء لعلاج بعض الحالات المرضية التي تصيب الطفل ولا تغادره مثل بكائه وصراخه في الليل وكذلك رفضه لرضاعة ثدي أمه وامتناعه عن الأكل والشرب لمدة طويلة... في هذه الحالات تسبب القلق والتوتر لأهله فيلجؤون إلى تلك الفئة التي تستخدم القرآن بصورة عكسية (قراءة القرآن بالمقلوب) وهم يستخدمونها في عمل الطلاسم والتعاويذ والأعمال السحرية بأشكالها المختلفة، وعادة ما تكتب الأحجبة والطلاسم بالحبر الأحمر أو الأخضر في أوراق صغيرة وتحفظ في غلاف مصنوع من الجلد أو القماش أو المعدن بغرض حمايته من التلف وقد يضعه المريض في أماكن بعيدة عن العيون في جيبه أو تحت وسادته أو في محفظته وذلك لاعتقادهم أن هذا العمل يقضي عن الأعراض المرضية التي يكون سببها: مس الشيطان أو القرين أو الحسد[2].

– العلاج بالرقية:

الرقية من بين وسائل العلاج التي تستخدم في البلدان الإسلامية والتي يعالج بها غالبا الأمراض النفسية التي مركزها الدماغ، ولذلك تكون معظم الرقى بآيات من القرآن الكريم وأشهرها الرقية بفاتحة الكتاب وآية الكرسي (آية رقم 255 من سورة البقرة) وكذلك المعوذتين وهما سورة الفلق وسورة الناس وأيضا سورة الإخلاص.

والأساس أن يرقي المريض شخص آخر حيث يكون عملية الرقية بوضع الراقي يده على موضع الألم وعادة ما يضعها على جبين المريض ويقرأ عليه ما تيسر من الآيات القرآنية المخصصة للرقية أو غيرها من الآيات المناسبة لحالة المرض (عين أو مس أو سحر) وقد تصاحب عملية الرقية تدليك الموضع الذي يعاني منه المريض بماء أو زيت مِرْقي عليه.

[1] – شرح المقولة : يأخذ الطفل إلى معالجة بالأعشاب لكي تعالجه بها وتفصده . مقابلة شخصية مع الحاجة خيرة عوينات، 24-02-2014، 15:45.

[2] – ينظر: محمد الجوهري وآخرون النظرية في علم الفولكلور الأسس العامة ودراسات تطبيقية، القاهرة، 2003، ص 282.

المبحث الرابع: الطقوس المشهورة في العلاج السحري:

1- الفوهو (العلاج بالبديل) Phuhu: وهو التضحية ببديل حيواني أو رمزي عوضا عن المريض، وإرساله إلى العالم الأسفل أو ما يدّل عليه، إما لإيهام الشياطين الممسكة بالمريض بأن المريض قد مات وعليه أن تغادره أو لإشعارها بأن هناك بديل عنه قد أرسل إلى العالم السفلي وعليه أن تتركه وتمسك بهذا البديل وتعاقبه، وكانت فكرة البديل استمرار لفكرة الأضاحي البشرية الموغلة في القدم، وهي تذكرنا بقصته الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام والتضحية بكبش عظيم بدلاً من إسماعيل عليه السلام وقد يكون البديل في هذا النمط من الطقوس حيوانا (جديا في الغالب) أو جمادا لا حياة فيه كالعصا أو تمثالا من الطين... ومهما يكون البديل فإنه يعامل معاملة الميت في العالم الأسفل وكثيرا ما تجري طقوس البديل في الصحراء لأنها تمثل رمزا للعالم السفلي حيث تقرب القرابين إلى آلهة العلم الأسفل وتقام طقوس جنائزية.

وقد كانت هذه الطقوس صدى لأسطورة الإله تموز (الأخ الأكبر للمريض) والتضحية به بديلا عن إلانا في العالم الأسفل كما تروي الأسطورة ، وهذه الطقوس والأسطورة يشكلان معًا الجذر السحري والديني لطقوس التضحية المتعارف عليها اليوم[1].

2- التكفير: وهو المفهوم الأكثر عمومية من (الفوهو) فهو يتضمن التضحية بشيء من أجل إنقاذ المريض، وقد يكون هذا الشيء خروفا أو جديا أو أرغفة من العجين تشبه شكل المريض وترش بالماء وتعزّم، أو خيوطا من الصوف الأسود والأبيض وتوضع على رأس المريض وقدمه وتلقي في البرية[2].

3- التطهير: يعتبر التطهير طقسا أساسيا من طقوس الشفاء، ويشمل جسد المريض أو بيئته وكانت عملية التطهير من خلال استعمال الماء أو الزيت أو الدخان أو نصب التماثيل والدمى، فالماء والزيت يدخل ضمن مجموعة خطوات لأجل تطهير المريض، أما الدخان فكان من خلال البخور الذي يطرد الأرواح الشريرة لأنه نابع من النار والذي تشرف عليه آلهة طاردة للشر أما نصب التماثيل والدمى في البيت أو المعبد أو القصر ثم نصبها على بوابات المدن فقد كان لاسترضاء الأرواح الطيبة[3].

4- طاسة الخضة: وهي من الطقوس المشهورة لعلاج الخلعة بحيث يكون في إناء من المعدن (نحاس أو فضة أو حديد) يأخذ الشكل الدائري المنقوش جداره ببعض الآيات القرآنية (آية الكرسي سورة الفلق والناس) ولقد

[1] - ينظر: خزعل الماجدي، بخور الآلهة، ص 230-231.

[2] - ينظر: سامي سعيد الأحمد، معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع2، 1977.

[3] - ينظر: خزعل الماجدي ، المرجع سابق، ص 235.

اشتهر استخدام هذه الطاسة بواسطة المشايخ وكبار السن، إن يقوم الشيخ بجمع سبعة أنواع من الحبوب (العدس ، فول، ترمس، أرز، حلبة، ذرة، شعير) ثم تعرض للندى في الليل، وفي الصباح يقدم للمريض منقوع السبع حبوب يشربه بعدها يتم الشفاء من الخضة[1].

أما بالنسبة لعلاج حالة الفزع من النوم عند الأطفال، فتكرر نفس الممارسة السابقة، ثم يعمل حجاب تكتب فيه بعض الآيات والسور القرآنية (آية الكرسي والإخلاص والفلق والناس) يلبسه الطفل تحت ملابسه الخارجية[2].

5- التبرك بزيارة الأولياء و الاستنجاد بهم: إن زيارة أولياء الله الصالحين والتبرك بم علقاتهم الشخصية كالعمامة والمسبحة وأخذ قطعة من غطاء أضرحتهم يكون سبب كثير من الأمراض، فعادة ما يستخدم أهل الطفل المريض بالأولياء الصالحين لأخذ الضر عن طفلهم، كما يعيدونهم بالقرابين إذا شفى الطفل، كالديك والجدي والخروف.... إلخ وكذلك يعيدونهم بالقماش الذي يوضع كغطاء للضريح، ونلاحظ أن أغلبية الأفراد في كثير من الشعوب ما تترد على زيارة الأولياء، وتتوعدهم بالذبائح والنذور، وقد يحرص الزوار على أخذ قطعة من كسوة الضريح والاحتفاظ بها وجعلها كوصفة من وصفات العلاجية للطفل المريض، ويعتقدون أنها ستحميهم من العين وتحفظهم من القرينة[3].

ومن ذلك ما نجده من قصائد مدح الأولياء صرخة المستغيث للنجدة وطلب المريض للشفاء ومثال ذلك قول أحد الشعراء:

نَنْده في فرجان عَطَاوَى فُوْقَ الفـــــــــاوَى
فـوْقَ ظُهُورِ أَعْيـــــانَ يَا مَالي لِقِبُبْ اَلتِضَاوَى
غَرْبـي صَحْنِ الـــــوادْ إِدوِ وليدُكُمْ يتـدَاوَى
يَـطِيـرْ سِـــــــــــواوْ يَبْري عَنْ المْعْتادْ يَا بَابَا[4].

6- الحضرة الشعبية: وهي من الاحتفالات الطقوسية الشعبية الشائعة في الكثير من الأوساط الشعبية وهي في البلدان العربية عامة والجزائرية خاصة . وسميت الحضرة بالحضرة لحضور أولياء الصالحين عند استغاثة أتباعهم الأوفياء بعد وفاتهم بقرون، وترتبط الحضرة ارتباطًا وثيقا بالمقدس من جهة وبالدنيوي الاستشفائي من جهة أخرى، كما تتشكل هذه الأخيرة من جمع غفير من الناس لا يأتون للفرجة فقط بل للتبرك وأداء الطقوس التعبدية ويعبرون فيها عن حبهم للولي الصالح وتعلقهم بالكرامة من حيث هي علامة عن الإلهي، كما نقول العامة "كل شيخ

[1] - ينظر: نجوى عبد الحميد سعد الله، الطب الشعبي لقبائل البشارية في منطقة أسوان ، ص 36. ومحمد عبده محجوب: الطب الشعبي وضبط الأنثى دراسة أنثروبولوجية حقلية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1429-2008، ص 211.

[2] - ينظر: نجوى عبد الحميد سعد الله، الطب الشعبي لقبائل البشارية، ص37.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص 42

[4] - مقابلة شخصية مع خضرة دوبم، 79 سنة، حي العبائدة حاسي خليفة، 24-03-2014، 14:30 .

وبرهانه وكل عود ودخانه" [1]. ويعتقدون أن حضورهم يجلب لهم البركة وسعة الرزق، وينتظر الناس موعد الحضرة بشوق شديد، والتي تقام مرة واحدة من كل سنة وذلك لأخذ مرضاهم إليه ا بغية الاستشفاء من مرض وخاصة الأطفال الذين يعانون من الصرع وأذى القرينة، وكذلك الأطفال الذين يصابون بالصراخ والبكاء الشديد ليلا.

وتبدأ الحضرة في الغالب بالقصائد التي تمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك قصائد خاصة يمدح الأولياء والمعنى الشامل لتلك القصائد يشير إلى الاستنجاد بالشيخ الولي الصالح في حالات العسر، وتطلب منه أن يهب للمساعدة في حالات المرض، ومن ذلك ما نجده في حضرة الفرجان والقصائد التي تتلو فيها، ومن الشعراء اللذين اشتهروا بالمديح الديني في منطقة وادي سوف: الشيخ الناوي الفرجاني* حيث ذكر في أشعاره علاج المريض والموجوع في ذلك بإيمانه بكرامات الأولياء عامة، والفرجان خاصة إيمانه بقدراتهم الخارقة على نجدة المستغيث وشفاء المريض، كما ذهب في شعره إلى تقديس قومه وتمجيدهم كلَّ مذهب، وبالغ في مدحهم بكل صفات العظمة ووصف حضرتهم وأنواع البخور التي تحرق خلالها وكيفية علاجهم للمرض وكيف يرشون الكمون على المريض عندئذ يفيق المجنون ويبصر الأعمى ويسمع الأصم[2].

ومن بين أشعار الناوي الفرجاني نذكر هذه الأبيات التي تحدث فيها عن الحضرة الشعبية وكيفية علاج المرض وترشهم بالكمون وذلك إحراق الجاوي والدخان المتصاعد منه والذي له تأثير في علاج المريض:

"يا فِرْجَاني اَلْعَنَّهْ اَلْدّالـــــةَ ... نُطْلِبْ رَبِّي يبْري أَسْمَاعِي
تِجُونِي نِسْوَانَ وَ رَّجالـــــةَ ... عَوَّانه بسبـــب انفاَعِي
ليا جيتوا ما أحسن طلَّتكم ... ورزقني ربي بهيـــــبتكم
نَزَوُرُوُكُمْ ونْدِيرُو حَضْـــرةَ ... بِذَبايَحْ لَفْطَـــــامْ وَنَظْرْهْ
الفرجاني رزقه يـــــذري ... قَالْ رَامْ جِدُودِي وذِراعِـي
ثلمود لِيَعْجِب في النَـظْرَةَ ... وحَضَاري مـــدح الفَزَّاعِي
تيَّـار تنقَـز تتهـــــــادر ... ع الجيلاني عبـــد القادر
والخيرات تقول تـــــوادر ... وطلوق الجـــاوي سِطَاعي
والنَاسْ اللاَقي والـــصَادرْ ... والمجْنُون يُولَّي وَاعـــــــي
والمجَنُون تِغِيَـــــبْ جِنُونهْ ... والفرجاني يِبُخو بِكَمُّـــونهْ
أمالي نِيتَـــهْ مشْنونـــــه ... يُقْعِدْ زير صَنْ لِقْطاَعـــــي
وَاحِدْ توجع فيه عيـــــونه ... قَال لآخر نقصولي صَـاعِي"[3]

[1] – مقابلة شخصية مع التجاني شراحي، 74 سنة، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 24-03-2014 ، 16:00.

* – الشيخ الناوي الفرجاني: هو محمد عمار الناوي الفرجاني ولد عام 1886 بقرية البياضة اشتهر بالمديح الديني ، ورويت عنه الأساطير ذات العلة بالكرامات تعاطى الشعر الغنائي العاطفي في شبابه ثم توجه إلى الشعر الديني وتوفي في سنة 1961.

[2] – ينظر: أحمد زغب، أعلام الملحون في منطقة وادي سوف نماذج وانطباعات مخطوط، ص 247.

[3] – أحمد زغب، المرجع نفسه، ص 248.

المبحث الخامس: أمراض الطفولة وعلاجها

إن الأمراض التي يتعرض لها الطفل في مرحلة طفولته لا تعد ولا تحصى ولا سبيل لحصرها، ولكننا سنقتصر في هذه الدراسة بالشائع منها.

وكذلك سوف نتناول الوصفات العلاجية التي تتخذ لعلاج هذه الأمراض سواء كانت من الناحية العقلية التي تعتمد على العناصر الطبيعية كالأعشاب والحشائش والنباتات، أو من الناحية الغيبة التي تعتمد على التعاويذ والتمائم الرقى.

1- أمراض الرأس:

ومن الأمراض التي تصيب الرأس الصداع، ومن أهم الأساليب الشعبية التي أفرزتها بعض الثقافات لعلاج الصداع العصبة (ربط الرأس بالقماش مع مفتاح من حديد) ويعتقد أن الجديد يحمى الطفل من أذى الأرواح الشريرة، أو كذلك استخدام عجينة الحناء بوضعها على الرأس، شرب الشاي والليمون ويعتقد أعضاء المجتمع أن السبب وراء هذا الألم اختزان حرارة الشمس داخل الرأس، وباستخدام الأساليب السابق ذكرها إخراج الحرارة من الرأس[1].

وذكر محمد الجوهري بعض الوصفات السحرية لعلاج الصداع منها تعليق ورقة بيضاء مكتوب عليها (د م، م ل، و) على محل الصداع، تكتب الأحرف (ا ح ا ك ح ع ح ا م) وعلى لوح خشب ويدق مسمار في كل حرف على الترتيب مع تلاوة آيات قرآنية، وإذا لم يشف الصداع نزع المسمار ودق في الحرف التالي إلى أن يسكن الصداع[2].

وقد تعلق كذلك قطعة من الحجر الكريم أو شيء مشابه لها على موضع الصداع على أن يكون محفورًا على ذلك الحجر آيات ودعوات معينة[3].

2- أمراض العيون:

-الرمد: وهو من الأمراض الواسعة الانتشار ويحدث نتيجة لكثرة الرياح الحاملة للأ ربةوالحصى ونفايات أوراق الأشجار وكثرة الذباب، وحرارة الطقس وله آثار مؤلمة منها العمى والعور والحول ومن بين الأدوية التي استخدمها العرب وضع التبغ المطحون وهو المعروف (بالنفه) في العين، وكذلك وضع قطرات من مرارة حيوان القنفذ ومنها الضميدة من أوراق شجرة (التقرفت) وقد اتجه البعض إلى العرافين لمعالجة هذا العرض الذي يصيب العين ليكتبوا

[1] - ينظر: محمد الجوهري وآخرون، النظرية في علم الفولكلور الأسس العامة والدراسات التطبيقية، ص 279.

[2] - ينظر: محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، ص 217.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لهم تميمة تقضي على اللطمة وهي في اعتقادهم لضمة من الجن تصيب وجه الإنسان فتترك بعينه مرض الرمد والكتابة (اللطمة) معروفة في كتاب الشيخ السيوطي وتتمثل في كتابة آيات معينة على جبين المريض[1].

أما بالنسبة لعلاج العيون فتغسل العين المصابة بمغلي الشاي البارد عن طريق قطعة من القطن ثم توضع فوقها قطعة من الطماطم بوجهها الداخلي وتربط بقطعة من القماش لمص الالتهاب، وقد تصاب العين كذلك بالعرق فتعالج بالتوتياء الحمراء التي تسحق في محارة مع قليل من لبن امرأة و توضع في العين المصابة فتشفى[2].

3- أمراض الفم:

-التهابات الفم: إن التهابات الفم لدى الأطفال كثيرة ومتنوعة فهناك التهابات بسبب الفطر وأخرى بسبب الميكروبات وثالثة بسبب الفيروسات ورابعة مختلطة بسبب كل هذه الثلاثة معا كذلك هناك ورم في اللثة عند بدء ظهور الإنسان حيث تتورم اللثة ويصبح الطفل منحرف المزاج قلقا غير قادر عن النوم، وهناك العديد من الوصفات العلاجية لعلاج التهاب الفم لدى الطفل الرضيع منها: طَبخُ رئة الخروف في الماء وتأخذ تلك الفقاعات التي تظهر على الماء عندما يصل إلى حد الغليان ويَمْسح بها فم الطفل و بهذه العملية سوف يزول الالتهاب الذي يعاني منه الطفل الرضيع[3]، وتخبرنا الحاجة مباركة عن أهمية الرئة وما لها من فوائد في علاج الكثير من الأمراض فعندما يذبح شخص شاة العيد فإنه يتشوق لأكل اللحم والكبد ويترك الرئة جانبا، وقيل:

"مِنّ فَاقِدكْ يَا الرِيَة نَهَارْ الضِّحِيةُ

قالت الرِيَّة:

لوْ كَانَ تَفْطِنُوا مَا بِيْا تَاْكِلُونِي نَيَّة"[4].

وقد يستعمل كذلك العسل الأبيض أو قالب من السكر لتدليك اللثة وجعل الطفل قادرا على تغلب فترة التسنين، فالعسل والسكر درجة تركيزهما عالية وبذلك فإنهما بالضغط الإسموزي س يسحب المياه من اللثة مما يقلل من ورم اللثة والتهابها وبالتالي يريح الطفل من الألم[5].

-آلام الأسنان: ويرجع آلام الأسنان إلى انكشاف عصب أحد الضروس أو إلى التهابات اللثة ويرجع ذلك إلى عدم اعتياد الطفل على تنظيف الأسنان باستخدام الفرشاة بعد كل وجبة، ومن الأساليب الشائعة للعلاج

---

[1] - ينظر: محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، ص 218.

[2] - ينظر: عبد العزيز رفعت، الطب الشعبي في قرية أعطو الوقف، مجلة الفنون الشعبية، القاهرة، ع19، 1987.

[3] - ينظر: أحمد السعيد يونس، العادات الشعبية في طب الأطفال، ص 24.

[4] - مقابلة شخصية مع الحاجة مباركة شراحي، 16-01-2014، 14:00.

[5] - ينظر: المرجع السابق، ص 24.

استخدام نبات الحرجل للمضمضة به بعد غليه أو يغلي القرنفل أو استخدامه بدون غلي أي وضعه صحيحًا على الجزء المصاب من أجل تسكينْ الألم وشفاء القروح التي بالفم[1].

ومن الوصفات الشعبية الشائعة في أوربا لعلاج ألم الأسنان غرس مسمار مصنوع من الحديد المطرّق في جذع شجرة، بثلاث ضربات من المطرقة، تحديدًا، وذلك قبل أن يأوي إلى النوم ويقول:

" القدَّيسة أبو لين

الجميلة والسّماويّة

وهي جالسة قرب إحدى الأشجار

على حجر أبيض من الرّخام

يسوع، مخلصا،

لحبسَ الحظ، متر من هناك

وقال لها: "يا أبو لين"

ما الذي يحزنك؟"

– أيها الرب السّماوي، إني هنا

سبب ألمي، لا بسبب حزني

بسبب رأسي، وبسبب دمي

وبسبب ألم سني

قال يسوع: " آمتني"[2].

4– أمراض الأذن والأنف:

–أمراض الأذن: كثيرا ما يتعرض الرضيع إلى أمراض الأذن ومتاعبها وهذا لاعتماده الكلي في ..... على الرضاعة خاصة مرحلة طفولته الأولى وقد تصاب الأذن بالالتهاب ويستخدم العسل الأسود مع دقيق القمح كوصفة علاجية لتسكين الالتهاب[3].

[1] – محمد الجوهري وآخرون، النظرية في علم الفولكلور الأسس العامة والدراسات التطبيقية، ص 280.

[2] – بياركانا فاجيو، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا، ص 22.

[3] – ينظر: عبد العزيز رفعت، المرجع السابق.

ومن أساليب علاج الشعبي لآلام الأذن وضع البصلة الساخنة داخل الأذن، اعتقادًا أن سبب الألم هو دخول قطرات من الماء داخل الأذن، كما يعتقد أن آلام الأذن قد يكون بسبب وجود ديدان ويكون علاجها بتدفئة زيت الخروع أو الكتان ووضع قطرات منه إلى الأذن المصابة[1].

أما علاج طنين الأذن فيكون بوضع السبابة في الأذن المصابة وقول: "بسم الله الرحمان الرحي م" ثلاث مرات وقول: "أشهد أن لا إله إلا الله" ثلاث مرات فيذهب الطنين[2].

-أمراض الأنف:

قد يصاب الأنف بالالتهاب وبتسبب هذا الالتهاب في حدوث الزكام، ومن الوصفات العلاجية الشائع استخدامها لعلاج البرد والزكام والأنفلونزا تناول الأطعمة ذات الرائحة النفاذة مثل البصل النّيء والمشوي، أو استنشاق رائحته بغية فتح الأنف في حالة شدة الإصابة بالزكام، أو استنشاق عادم لسكر أو قطعة قماش محروقة. فإن ذلك يساعد على فتح الأنف المسدودة[3].

5- أمراض الجلد:

كثيرا ما يتعرض الطفل إلى أمراض تصيب الجلد، وهذه الأمراض كثيرة ومتنوعة منها ما ذكرته لنا الحاجة فاطمة: " السلاطين بأنواعها السبعة، الحب الخشين والرقيق والمتوسط، واللشلوش والحب الدمي الكبير والرش الأسود والجذري"[4]. وقديما كانت تؤدي هذه الأمراض إلى وفاة العديد من الأطفال وخاصة المناطق الريفية، وذلك بسبب انعدام الثقافة الصحية لدى أهل الريف وعجزهم عن التصدي لهذه الأمراض ومعالجتها. وسنذكر أهم هذه الأمراض وأكثرها خطورة:

-الجذري: وهو من الأمراض الجلدية، كما أنه من أكثر الأمراض خطورة حتى أنك لترى آثاره في كثير من وجوه الرجال والنساء ممن قدر له م أن ينجوا من الموت بسببه ولم تختف آثاره من الوجوه إلا في العهد الأخير لأنه انقطع في عهد ما بين الحربين وسلم الجيل الحاضر من آفة كانت تشوه الوجوه، وتطمس نور العيون وتقضي بالموت على عشرات ومئات من خلق الله.

وهذا المرض تختلف تسميته من منطقة إلى أخرى، فمن تسمياته بوحقبقب، بوحمرون، بوصداغ....وغيرها[5].

ويعتبر هذا المرض من الأمراض المعدية حيث يحفظ الطفل المصاب به في غرفة لوحده، ويمنع دخول الأطفال إليه

---

[1] – ينظر: محمد الجوهري وآخرون، النظرية في علم الفولكلور الأسس العامة والدراسات التطبيقية، ص 280 .

[2] – عبد العزيز رفعت، المرجع السابق.

[3] – ينظر: محمد الجوهري وأخرون، المرجع نفسه، ص 281.

[4] – مقابلة شخصية مع فاطمة الأسود، 81 سنة، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 14-12-2014، 20:30.

[5] – ينظر: مقابلة شخصية مع خضرة شراحي، 19-01-2014، 17:40.

أو مخالطتهم. ومن أعراض هذا المرض الارتفاع المفاجئ في درجة الحرارة وفشل كل الأدوية في خفضها وكذلك اصفرار أبيض العين وفشل وإرهاق الجسم وظهور البثور عليه.

أما الأدوية التي يستعملها البدو لعلاج هذا المرض فهي بسيطة، ولا تكاد تعدو بعض الأدوية التي يقترحها المؤدبون نقلا عن كتاب "الرحمة في الطب والحكمة" المنسوب للشيخ السيوطي؛ ويلبسون المريض اللون الأحمر (كما يفعلون في مرض الحصبة). ويطعمونه قطعا مطبوخة من السمك المعروف بكلب البحر، وقد يستعمل بعضهم لشراب المريض الماء المغلي[1]. كما يطعم الطفل لحم الماعز الذي يطهو على حطبة من الطرفا وهي نوع من أنواع الحطب المتواجد في الصحراء لمدة أسبوع[2].

وينقل إلينا "مارك ليبرو" في كتابه "طب، وسحر وشعوذة" (الذي أصدره عام 1954) سلوكا قديما يرمي إلى معالجة هذا المرض الذي كان يشبه قديما بالقوباء

"يأتي المصاب بثلاثة عشر دبُّوسا جديداً، وقطعة صابون. ويتابع محيط الصفحة الملتهبة بأحد هذه الدّبابيس، ثم يفركها بالصّابون الجاف وهو ينطق بهذه الصّيغة المقدّسة:

«أيتها القوباء

المتولدة من تسع أنواع من الجذور

ستختفين بسرعة اختفاء النّدى

أمام الشمس، في شهر أيّار

من 9 إلى 8، ومن 8 إلى 7، ومن 7 إلى 6، من 6 إلى 5، من 5 إلى 4، من 4 إلى 3، من 3 إلى 2، من 2 إلى 1، من 1 إلى 0»

ثم يلقى، من طريق أعلى الكتف الأيسر، ذلك الدّبوس الذي استخدمه في تكرار العلاج، صباح تسعة أيام متوالية، قبل شروق الشمس، ويعيد ذلك في أوّل عيد سنوي يتلو العلاج، ثم يمتنع نهائيا، عن أكل اللحم والسمك، أيام الأعياد السنوية"[3].

-الحصبة: تعتبر الحصبة من الأمراض الجلدية الخطيرة التي تصيب الأطفال مرة في العمر. وذلك بسبب فيروس ينتقل من طفل لآخر عن طريق الرذاذ من اللعاب المتناثر خلال الكلام والسعال والعطس وأحيانا ينتقل عن طريق مخالطي المريض (أهل وزوار) الذين يحملون الفيروس على ملابسهم التي لوثها رذاذ لعاب الطفل وينقلون العدوى لأطفالهم يحملون ويستنشقون الفيروس من الملابس الملوثة.

[1] – ينظر: محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، ص 219.

[2] – ينظر: مقابلة شخصية مع هنية بالنور، 69 سنة، حي الغربية حاسي خليفة، 24-05-2014، 18:00.

[3] – بيار كانا فاجيو، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية، ص 160.

إن الحصبة كانت ولازالت من الأمراض التي تخشاها الأمهات بل إن الكثيرات من الجيل القديم لا يذكرنها بالاسم. تسأل الواحدة منهن في قلق "هل هي ..... المبروكة؟ !"[1]. أو تقول "حاشى لا يسمي أو لي ما تتسمَّى" وغيرها العبارات التي تكنى عليها.

ومن الأعراض التي تدل على ظهور هذا المرض على الطفل الارتفاع الشديد في درجة الحرارة لمدة خمسة أيام لا تستجيب فيها لأي مخفضات للحرارة. ويعتقد الكثير من الأمهات بأن التخفيض من درجة حرارة الطفل المصاب يكتم الطفح ويمنع ظهوره. ويستمر الطفل أحمر العينين سائل الأنف مع التهاب شديد بداخل الفم والحلق متعبا كثير السعال والعطس، وفي آخر اليوم الخامس تنخفض الحرارة فجأة ويظهر طفح أحمر على جسم الطفل[2].

وتقول الحاجة الزهرة: "الحصبة تدوم تسعة أيام في الصغير وثلاثة سخانة وثلاثة خروج وثلاثة قشوع"[3].

فحسب ما قالته الحاجة الزهرة أن مدة هذه المرض تدوم تسعة أيام وتبدأ بالسخانة أي الارتفاع في درجة حرارة الطفل، والتي تبقى مرتفعة لمدة ثلاثة أيام وبعدها يبدأ ظهور الطفح في الوجه والصدر واليدين في اليوم الرابع، ويزداد ظهور الطفح شيئا فشيئا حتى يعم على سائر الجسم، وهذا ما سمته الحاجة الزهرة بثلاثة خروج، وفي اليوم السابع يغطي ذلك الطفح غشاء رقيق من الجلد، ويكون في الأماكن التي ظهر فيها الطفح أولا كالوجه والصدر واليدين حتى يعم على الجسم كله ويكون هذا في ثلاثة الأيام الأخيرة من المرض والتي سمتها الحاجة الزهرة ثلاثة قشوع (أي القشرة التي تكون على الطفح) وبعدها يختفي الطفح تماما من الجسم ويشفى الطفل المصاب به في كثير من الأحوال[4].

ويقدم للطفل بعض الأنواع من الأطعمة لعلاجه من هذا المرض كالخضر والفواكه وكذلك السوائل السكرية والحليب الساخن، كما يشرب الماء المغلي المخلوط بشيء من القرفة، وهي قشرة معروفة زكية الرائحة حارة الطعم ويمتنع عن أكل اللحم خاصة في الأيام التي تكون فيها درجة حرارته مرتفعه. وكذلك يبتعد عن الأطعمة التي تسبب له حدوث الإسهال. ويغطى الطفل المريض بغطاء من اللون الأحمر، وقد لاحظ الأهل أن وضع الورق الأحمر على زجاج الشباك يقلل من حدة ضوء الشمس وكذلك حول المصباح الكهربائي في سقف الحجرة وبذلك يكون الضوء أحمر هادئا فإن الطفل يمكنه أن يفتح عينيه دون شكوى أو انهمار لدموعه. كما يحرص الأهل على تدفئة الطفل وعدم تعريضه للهواء البارد حتى لا يصاب بالبرد والسعال[5].

---

[1] – أحمد السعيد يونس، العادات الشعبية في طب الأطفال، ص 67.

[2] – ينظر: المرجع السابق، ص 68.

[3] – مقابلة شخصية مع الحاجة الزهرة عوينات، 71 سنة، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 02-02-2014، 10:00.

[4] – ينظر: المرجع السابق.

[5] – ينظر: أحمد السعيد يونس، المعتقدات الشعبية في طب الأطفال، ص69. ومحمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، ص 216.

وتعتقد الأمهات أن الحصبة لا مفر منها ولا مهرب، ويعتبرونها مرض زائر أي أنه يزور الأطفال جميعا، وإذا لم يصب به في صغره فإنه يأتيه في كبره فهي لابد أن تصيب الشخص مرة في حياته.

6- أمراض الصدر:

-السعال: وهو مرض معروف سببه البرد، يصيب قصبات الرئة فيحدث للإنسان سعال يسميه أعرابنا الكحة وإذا أصيب به الطفل فيعطى له مغلي الكروياء أو أوراق الجواقة الذي يشرب ساخنا أو منقوع لبان الذكر إذا كان هذا السعال مصحوبا بالبلعم[1]. وتقول الحاجة علية عوابد: "أن ماء البصل مع الحليب مفيد للسعال"[2].

وفي أوروبا يوصي القديسّ"جوليو" Julio من أراد الشفاء من السعال المستعصي بأن ينطق بهذه الصيغة المغرقة في القدم:

"كان القّديس يوحنّا ذاهبا إلى الجبل فالتقى مريم التي قالت له:

-إلى أنت ذاهب، أيّها القّديس يوحنّا

أجابها القديس يوحنّا:

-أنا ذاهب إلى الله!

إلهي اشف فلان من سُعاله"[3].

وفي بعض المناطق أنه إذا أصيب الطفل بالسعال وشفي فإن أمه تجمع الأطفال وتوزع عليهم الحلوى وتصنع لعبة من الخرق تضع عليها أحمر الشفاه وتلونها وتذهب مع الأطفال والكل يرددون:

"يا لعيبة الشيجو* روحي وتعالي، واحنه دفنه الشيجو"[4].

وتأخذ الأم اللعبة وتذفنها خارج القرية مسلمة إياها إلى الأرواح الشريرة التي خرجت من طفلها.

ويعتقد البابليون أن الأمراض أتت من العالم الأسفل وأن السعال في الإبسو. وورد في قصائد الحكمة البابلية.

وترك السعال الكريه (إبسو) .....

أرسل السعال اللعين إلى إبسو (مياهه العميقة)[5].

أما إذا كان الطفل رضيعا وأصيب بمرض السعال فإن والدته تذهب به إلى قصاب المنطقة قبل أن يتناول فطور الصباح ليذبح رضيعها بظهر السكين وتكسر إناء في مقدمة الدار ويقال عند رمي الإناء بقوة.

---

[1] - ينظر: عبد العزيز رفعت، الطب الشعبي في قرية أعطوا الوقف.

[2] - مقابلة شخصية مع علية عوابد، 83 سنة، حي الهمائسة حاسي خليفة، 25-03-2014، 10:00.

[3] - بيار كانا فاجيو، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا، ص 142.

* - الشيجو: الشهيق، ويراد به كثرة السعال.

[4] - ناجع المعموري، العادات والتقاليد في الحلة.

[5] - ينظر: خزعل الماجدي، بخور الآلهة، ص 337-339.

(جانه صقر زاح ربيع يا محمد يا شفيع)[1].

7- أمراض البطن:

ويقصد بها الأمراض التي تصيب البطن وما بداخلها من أمعاء ومعدة وكبد وكلى. وقد أجمعت أقوال الكثير على أن السبب وراء هذه الآلام ترجع إلى أوساخ في الجهاز الهضمي، أو دخول الرطوبة إليه، وهو ما يسبب الأعراض المرضية، ومن ثم فإن غلي بعض النباتات مثل الدمسيسة، الحربل والحرجل والكمون.... إلخ وإضافة السكر إليها كفيل بأن يزيل جميع آلام البطن[2].

ومن بين الأمراض والآلام التي تصيب البطن:

-الإسهال: وقد أكدت أقوال بعض العجائز على أن الإسهال من الأسباب التي تقف وراء وفيات الأطفال الرضع. ومن ثم نجد أن أعراض الإسهال من أكثر الأعراض التي تعرفها الأمهات، ومن المؤكد أن إصابة الأطفال الرضع بمرض الإسهال تسهم فيه عوامل بيئية وأخرى ثقافية. فأما البيئية فتركيز مخاطرها في الافتقار للحدود الدنيا من مقومات النظافة، عندئذ تصبح مناخا مهيأ للانتشار الذباب الذي له علاقة بتنقل المرض. أما العوامل الثقافية فتكون في سلوك الأمهات، وبشكل خاص في تغذية الأطفال والعناية بهم. وغير ذلك من الجوانب التي تبدو أكثر أهمية في هذه الجوانب الثقافية، ولذلك قد تعددت الوصفات العلاجية الشعبية حول هذا المرض، وإن الأمهات قد اعتدن أن يبدأن باستخدام عصير الليمون مضافا إليه اللبن، أو غلي قشر الرمان وشرب مائه أو إذابة النشا بالماء وإضافة عصير الليمون إليه[3].

وكثيرا ما تعتقد الأمهات في بعض الأشياء التي تسبب في حدوث الإسهال منها حليب الرعبة عندما تصاب الأم بالرعب أو الفزع الشديد وترضع طفلها يسمى ذلك الحليب بحليب الرعبة. وكذلك الطفل عندما يرتعب قد يصيبه الإسهال، وهناك بعض الممارسات العلاجية التي تشبع استعمالها في بعض المناطق منها زيارة الطفل المصاب بالإسهال لإحدى العجائز التي تمتلك الخبرة الشعبية في علاج الأطفال. وقد تكون هذه الخبرة معطاه لها أي أنها ورثتها عن غيرها أو تلقتها عن شيخة لها في هذا الفن.

فعندما يأخذ الطفل المريض إلى المعالجة الشعبية تعد له الغرور وهو خليط النباتات العشبية وفيه: الكمون الأسود والأخضر، والعرعار، والحلبة والشندقورة والكليل، وقشرة رمان، وقمحة ونعناع وبسباس وشيح وفيجل وخزامة وحنة ومردقوش، بحيث تكون هذه الأعشاب مطحونة بعد تنظيفها وتنقيتها من الأوساخ. وتأخذ المعالجة

[1] - ينظر: ناجع المعموري، المرجع السابق.

[2] - ينظر: محمد الجوهري وآخرون، النظرية في علم الفولكلور الأسس العامة ودراسات تطبيقية، ص 279.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الشعبية ملعقة صغيرة من الغرور وتمزجها مع الماء ثم نشرب منها الطفل المريض، وبعدها تمسح ووجهه وكتفيه ثم يده وبطنه ورجليه بهذا الماء. وتأخذ سكين حاد وتشلطه به ثلاث شلطات أفقية على جبين الطفل ثم تضع ثلاث شلطات كذلك في ناظريه اليمنى واليسرى وكذلك في أسفل ذقنه، وهي تردد هذه الكلمات:

جَانَـــــا بِالنِيّــة تِتْنَحَى لَهْ كل أذِّيــة [1]

ولجَنَـــــا زَايِــر يـــِــــــرُوح نَايِــر [2]

لجَانَـــــا بِنِيَّـــة يِـــــــــرُوح بِيهَـــا [3]

بِجَــاه فَاطِمَة وأبِيهَا ومَكَة وَمِنْ صَلَى فِيهَا [4]

فهذه الطقوس والممارسات التي مارستها المعالجة الشعبية، وكذلك التراتيل التي قالتها وأيضا إيمان المريض واعتقاده للشفاء بعد القيام بهذه الطقوس كلها تساعد على شفاءه ومغادرة المرض من جسده.

ولا زال هناك العديد من الأمراض والتي يمكن للطفل أن يصاب بها، ولكن يصعب تصنيفها إلى أي صنف من الأصناف ومنها نذكر ما يلي:

-الفجعة:

وهو مرض تظهر أعراضه على الطفل، في صفرة بياض عينه وفي ملامح وجهه، وكذلك يصبح بوله مصفر اللون كما يكون جسمه متعبا مرهقا، ويعرف هذا المرض بمسميات عديدة منها الصفير وبوصفير والخلعة والرعبة وهذا المرض تكون إصابته في الكبد وتنحصر أسباب الإصابة به بالفجعة وهي أن يرتعب الطفل فجأة من شيء مخيف عادة، كأن يظهر أمامه -فجأة- منظر مرعب أو ينفجر بجانبه صوت قوي رهيب، ويداوى هذا المرض بنفس الطريقة -غالبا- أي الفجعة كأنهم مؤمنون بقول الشاعر أبي نواس (وداوني بالتي كانت هي الداء)، وقد أثبت الطب الحديث صدق هذه النظرية فالتلقيح ضد الجدري مثلا أنما يكون بجرثومة الجدري [5].

ويعتقد كثير من الناس في أغلبية الشعوب أن البومة هي مسؤولة عن هذا المرض وذلك بسبب صوتها المخيف الذي يرتعب منه الطفل. وتسمى البومة في كير من المناطق بأم الضر أو أم الصبيان وهناك أسطورة يتداولها الناس عنها: "كَايِن زُوز نِسَاء وَاحِدة عِنْدَها وِلَدْ، والأُخْرَى عَاقِرْ مَا تِجِيبِشْ الذِّرْ وَتَوَاعَدُوا مَرَّة عَنْ ضِيفَة بِشْ يَاكْلُوا فِيها اللَّحَمْ وَخَّدْهِنْ ومَا يَعْطِنْشِي مِنْهَا لِحَتَّى وَاحِدْ، وعَطَنْ العَاهِدْ لِبَعْضَاهِنْ، ومِشَنْ طَيَبَنْ اللَّحَمْ وكِي عَادُوا يَاكْلُوا فِي

[1] – شرح البيت الأول: أي أن المريض جاء إلينا بنية الشفاء وأن السوء سوف يتخلى عنه ويتركه جانبا.

[2] – شرح البيت الثاني : أي أن المريض زارنا بوجه حزين وأنه سوف يغادرنا بوجه فيه نور.

[3] – شرح البيت الثالث: أي الذي أتانا بنية يذهب بها.

[4] – مقابلة شخصية مع الحادة عوينات، 78 سنة، حي الغربية حاسي خليفة، 20-06-2014، 17:00.

[5] – ينظر: محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، ص 225- 226.

اللَّحَمْ عَادْ وِلَدْ الْمَرَى يِبْكِي ويِقُولْ لأُمَه أَعْطِينِي نَاكُل اللَّحَمْ وأُمَه ما قَدَّتْشِي تَعْطِيه يَأكُلْ عَاشِنْهَا عَاهَدَتْ صَاحِبِتْهَا وعَاد الطِفْل يِبْكِي ويِعَيطْ وجَارِتْهَا تُشُوفْ فِيه ومَاتَكَلَمَتْشِي شِوَيْ أُمَه قَلْبَهَا فَرْفَتْ ووَلَتْ عَنَه تُضْرُبْ فِيه حَتَانْ زَرَقَتْلَه لَحْمَهُ وقَتْلاَتَه عَاقَبْهَا رَبِّي عَن عَمْلِتْهَا وَمَسَحْهَا لبُومَةَ وَنِدْمَتْ هِي عَنْ فِعْلِتْهَا وقَالَتْ:

الشِّرْكَة هِلْكَة والجَرَبْ يِعْدِي كُونْ مِشْ مِنْ الشِّرْكَة مَا نُقْتِلْ وِلْدِي" [1].

ويعتقد الناس أن هناك تعاويذ تقيهم شر البومة إذا قالوها عند رؤيتها ويقال لها: "الرتم (هو من النباتات الشوكية) في حلقك"[2]. ويعتقد كذلك أن تعليق خرقة حمراء اللون في زاوية من زوايا البيت يبعد البومة ويهربها لأن اللون الاحمر في الليل يعكس الرؤيا.

ونجد أن أساليب العلاج من الفجعة متشابهة لدى كثير من الشعوب ويذكر محمد الجوهري في كتابه بعض الطرق التي استخدمها البدو في الجنوب التونسي منها: أن يكوى الطفل المريض بعود من نبات الميثان، حيث يوضع هذا العود في النار ثم يُكْوَى به المريض في كل مفصل وطبعا فإن المريض يرتعب من كل لمسة من لمسات الكي، أو أن تؤخذ خرقة زرقاء اللون ويوضع طرفها في النار في غفلة من الطفل المريض، وعندما تشتعل تطرح على المريض الغافل في المكان الذي تتصل فيه الرقبة بالكتفين من الخلف، فيرتعب من الألم المفاجئ ويكون ذلك سببا في شفائه [3]. وتذكر لنا الحاجة "عائشة مليك" طرق أخرى لعلاج الخلعة (الفجعة) وهي أن يكوى الطفل المريض بالفتيلة أي الشمعة بشكل مفاجئ من الخلف أي بين كتفيه أو في أحد أطرافه، أو تغلي حبة بيض ثم توضع بشكل مفاجئ بين الكتفين أو خلف الرقبة مع منع الطفل المخلوع من شرب الحليب لمدة ثلاثة أيام. و إذا كان الطفل رضيعا فينصح أمه بتقطير ثلاث قطرات من ثدييها على الأرض وتذكر اسم الله قبل ذلك[4].

كما ينصح باستخدام سكين حديد صنع من عند الحداد حيث يسخن السكين حتى يحمر لونه ويوضع في كأس فيه ماء بارد وتكرر هذه العملية سبعة مرات ثم يرش الطفل المخلوع بذلك الماء ويشرب منه ويقال أنه يداوي الخلعة[5].

وهذا النمط من العلاج يشبه كثيرا طريقة الفأس المحمى الذي ذكرها محمد المرزوقي وهي أن يوضع فأس في النار حتى يحمى ويكون المريض ممددا على ظهره، وعلى صدره يوضع إناء مملوء بالماء البارد ويؤخذ الفأس المحمى

[1] – مقابلة شخصية مع خضرة شراحي، 16-10-2014، 13:00.

[2] – المرجع نفسه، الساعة نفسها.

[3] – ينظر: محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، ص266.

[4] – ينظر: مقابلة شخصية مع الحاجة عائشة مليك، 80سنة، حي الشرقية حاسي خليفة، 21-02- 2014، 13:00.

[5] – ينظر: مقابلة شخصية مع تجانية شراحي، 13-04-2014، 18:20.

ويطرح في ذلك الماء ويسمع المريض صوت وشوشة الحديد المحمى في الماء فيرتعب منه، وبذلك يحصل المقصود[1].

ونلاحظ أن هذه الأساليب المتبعة في العلاج مختلفة في شكلها وطريقة أدائها إلاّ أنّ جوهرها ومضمونها واحد وهو إصابة المريض بالرعب من جديد وكما يقال: "رعبة تنحي رعبة" [2]. أي أنّ حالة الفزع والخلع التي تعرض لها في المرة الأولى يلغى تأثيرها عندما يتعرض لها في المرة الثانية، وهذا هو الهدف المقصود من هذه العملية.

أما في أوروبا فيشيع استخدام البيض لعلاج هذا المرض، حيث تكسر بيضة بيضت في ذلك اليوم فوق قرية نمل ،أو أن يحمل شخص بيده اليمنى قطعة فضية ، فيديرها في دائرية وجه المريض ثلاث مرات قائلا:

" أناشدك وأطلب إليك

باسم الله العظيم الحيّ،

وباسم عمّا لوثيل، والقديس إبراهيم

أن تترك جسد هذا الشخص"[3].

-اللدغة (اللسعة):

تحتوي المناطق الصحراوية على الكثير من الحشرات السامة كالأفعى والعقرب وغيرهما، وفي فصل الصيف تكثر الإصابة بلدغ تلك الحشرات، ويخاف الناس من الأفعى أكثر من العقرب، لأن سمّها قاتل بلا ريب إذا لم يبادره الملدوغ بالدواء ومن الأساليب المتبعة في العلاج الرقية التي يقوم بها رجل متخصص وذلك بتلاوة بعض الأدعية على العضو الملدوغ حتى يتجمع السمُّ في مكان يد الشيخ، ثم يقوم بعدها بعملية الفصد (التشريط لإخراج الدم الفاسد) وذلك من خلال مصه بواسطة الفم، ثم يبزق ويكرر هذه العملية حتى يخرج السم من جسم الطفل المصاب باللدغة[4].

وهناك عزيمة يقال أنها مجلوبة في الأصل من سكان إفريقيا السوداء ونصها يقول:

" أخرج كفاك ربك، وكم يكفيك، وكفة كفكفها ككلم كان من كلك، تُكِرٌّ كرا ككر الكر في الكبد يحكم تتككة كلت لها الكلكة، كفاك مابي كفاك، الكاف كوكبة، نا كوكبا يحكي كوكب الفلك"[5].

---

[1] – ينظر: محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، ص 226.

[2] – مقابلة شخصية مع مبروكة شمسة، 24-06-2014، 18:00.

[3] – بيار كانا فاجيو، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية، أوروبا، ص 312.

[4] – ينظر: محمد الجوهري وآخرون، النظرية في علم الفولكلور الأسس العامة ودراسات تطبيقية، ص 276.

[5] – محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، ص 220.

ويوجد كذلك عزيمة عبرية لعلاج لدغة العقرب يقال أنها مأخوذة عن اليهود ونصها:"جَمْ جاجمنا كم ناجم جاءان ورمى"[1].

ويعتقد أن من يقرأ هذه العزيمة لا يلدغ في تلك الليلة، ويعتقد كذلك أن من يلدغ ويدق حبات ثوم مع حبات ملح ويضعها ضميدة فوق مكان اللدغة فإن السم يبقى في مكانه ويمنع من الانتشار، وتترك هذه الضميدة أثرا سيئا في المكان إذْ تخترق بحرارتها الجلد.

أما عضة الأفعى فدواؤها ينحصر في الأشياء الآتية:

المبادرة إثر العضة، بذبح شاة وإخراج معدتها إثر الذبح، وإدخال المكان الملدوغ وسطها، أي دفنه داخل الفرث الذي يكون عادة سخنا ويترك العضو هناك حتى تبرد المعدة، وبعضهم لا يكتفي بشاة واحدة بل يذبح ثانية وينقل العضو الملدوغ إلى المعدة الثانية حتى تبرد. ومن الغريب أن معدة الشاة يتغير لونها فتصبح زرقاء، ولا تلبث أنْ تتعفن، وتنتشر فيها الديدان ولذلك يعمدون إلى دفنها على عمق كبير حتى لا يتسمم بها حيوان آخر [2]. وهذه الطريقة نافعة بلا ريب في امتصاص السم من العضو الملدوغ وعدم انتشاره في الجسم.

وفي أوروبا إذا أراد الشخص ألاّ تؤلمه اللدغة والتخلص من السّم الضار وجب عليه قول: "أيتها القديسة الصالحة ''إثيوب'' وأيها القديس ''هورم'' "أوقفا تأثير السّم، وأخرجاه من حيث دخل" [3] وينصح النطق بهذه الصيغة ثلاث مرات متوالية.

-الحمى وارتفاع درجة الحرارة:

يعاني الطفل كثيرا من الحمى وارتفاع في درجة الحرارة وتمثل هذه الحالة عرضًا عاما لكثير من الأمراض، ومن الأساليب الشائعة التي تلجأ إليها الأمهات في كثير من الأحوال دهن جسم الطفل المصاب بالنشا والليمون أو الخل وعمل كمّادات ماء بارد ووضع لبخة من الحناء مضافا إليها القرض بغية امتصاص الحرارة من الرأس أو الجسم، كما يعطي له نبات الدمسيسة بعد طحنه وخلطه مع الزيت ثم يدهن به المصاب رأسه وجسمه [4].

وهناك من الأمهات ما تستعمل طاقية ثلج على رأس الطفل لخفض الحرارة والأفضل من ذلك هو وضع تلك الطاقية على الجزء الأسفل من البطن لأن الثلج على الرأس لا يخفض الحرارة بسرعة أما وضعه على الأسفل ، على أسفل البطن فإنه يقوم بتبريد الدم في الأوردة الصاعدة إلى القلب ومنه إلى المخ وبذلك تنخفض الحرارة بسرعة.

---

[1] – محمد المرزوقي، المرجع نفسه، ص 220.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 221/220.

[3] – بيار كانا فاجيو، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا، ص 148.

[4] – ينظر: محمد الجوهري، النظرية في علم الفلولكلور الأسس العامة ودراسات تطبيقية، ص 280.

وهناك من يستعملن قطع قماش مبللة بالماء والكحول أو بالماء والخل لتبريد الجسم، وذلك يحدث نتيجة تبخر الماء والخل، وبذلك يحدث تبريد للجلد ومنه إلى الدم ثم إلى المخ[1].

وهناك ممارسات علاجية شائعة في أوروبا للوقاية من هذا المرض حيث ينصح الطفل بأكل بيضة مطبوخة بيضت يوم الجمعة العظيمة. أو أن تربط الذراع اليسرى للطفل المصاب بالحمى بإحدى الأشجار، قبل شروق الشمس وبعدها يتلو ثلاث صلوات وثلاثة سلامات ملائكية (والسلام الملائكي هو تحية جبرائيل للعذراء)، وتفك يده، تاركا الحبل مربوطا بالشجرة، أو أن يلقي خلفه غصنا صغيرا من أغصان شجرة جوز قُطِع بضربة سكين واحدة، ثم يقول دون أن ينظر إلى مكان وقوعه:

"أيتها الحمّى،

سوف تغوصين في الأرض حتى أعماق البحر،

ولن تعودي إلى الأرض أبدا".

كما يقلب قميص الطفل المريض أثناء تلاوة صلاة الصباح بدءًا بقلب الكم الأيسر، ثم جسم القميص ثم تُردد هذه الترتيلة:

" انقلب أيها القميص

وانقلبي أيتها الحمّى

ولا تعودي إلى جسدي (أو إلى جسد فلان)

أرجوك باسم الأب

والابن، والروح القدس.

آمين"[2].

ومن أراد الشفاء من الحمى فعليه أن يقدم إلى أحد الكلاب، كأس حليب ويدفعها إلى شربها قائلا له بأدب: "حظ سعيد لك، أيها الكلب لعلك تغدو مريضا وأغدو في صحة جيدة"[3].

فإذا شرب بعده جرعة حليب وتركها شفي لفترة طويلة. أو أن ينطق بهذه الصيغة الشائعة في أوروبا كلها: "عندما رأى الله (المسيح) الصليب الذي طلب عليه جسده ارتعش لحمه وثار دمه.

قال اليهود: نعتقد أنك خائف أو أن الصلوات قد أخذتك

[1] – ينظر: أحمد السعيد يونس، العادات الشعبية في طب الأطفال، ص 102.

[2] – بيار كانا فاجيو، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا، ص 85.

[3] – المرجع نفسه، ص 86.

قال يسوع: لست خائفا البتة، ولم تنزل بي الحمى

كل من ينطق بهذا التضَرّع

أو يحمله

فلن يصاب بحمى أو يرقان

سوع، مريم، آمين!"[1].

وتشمل كلمة الحمى مرض التيفوئيد والذي يعالج ببعض النباتات الجبلية التي توضع أوراقها صحيحة أو مطحونة في طعام الطفل المريض وتستعمل كذلك الحلبة بعد طحنها وتعطى كشراب للمريض لتخفيض درجة حرارته[2].

إن الارتفاع في درجة الحرارة لا يعتبر مرضاً من الأمراض التي تصيب الطفل بل هو من الأعراض الدالة على وجود أمراض معينة كالجدري أو الحصبة أو نقص الماء في الجسم (الإسهال)..... وغيرها من الأمراض الأخرى وهناك كثير من الحالات يصاب فيها الطفل بارتفاع في درجة الحرارة دون أي مرض واضح وتحدث هذه الحالة عندما يكون الطفل في فترة تنبيت سنّه أو نابه أو ضرسه، وتختفي درجة الحرارة كليا حين بروز السن أو الناب أو الضرس.

-السخانة:

وهي حمى يصاحبها برد قوي يرتعش له الجسد ارتعاشا قويا، وتصبح الأسنان تضطرب مع بعضها البعض من قوة الحمى، ويصبح المريض يصدر صوت أنين خفي، ولا يستطيع التنقل من مكانه كما يعجز عن الحركة وأداء الكلام. وعادة يطلب المريض بها التدفئة بالأغطية الكثيفة أو تقريبه من نار قوية.

ولهذا المرض مسميات عديدة منها القِفَاقِفْ، القَفْقَاف، الرَعَدِية، إلى جانب اسم السخانة فيقال "أصيب فلان بسخانة القفاقف ويقصدون بذلك السخانة المصحوبة بالارتعاش من شدة البرد ويعتقد البدو في الجنوب التونسي أن سبب هذا المرض منحصر في أمرين:

أولا في الوخم وثانيا في إصابة الطفل بالبرد القارص وهناك مثل يتداوله العامة "تسلحوا للبرد كما تتسلحوا للحرب"[3].

[1] – بيار كانا فاجيو ، المرجع السابق، ص 86.

[2] – ينظر: محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، ص 217.

[3] – مقابلة شخصية مع الحاجة عائشة مليك، 21-02-2014، 13:00.

وأدوية هذا المرض تنحصر في تسخين المريض وتدفئته بالأغطية الكثيفة وإطعامه نوعاً من الحساء الحار المخلوط بأنواع من ورق أشجار الجبل وحشائشه لاستدرار العرق من جسمه وإذا ظهرت قطرات العرق على جبينه أستبشر أهله بالشفاء[1].

-العين:

وهي من الأمراض النفسية التي يصاب بها الإنسان [2]، والعين تطلق على الحسد، ويقولون للمحسود أصابته عين[3]. والإصابة بالعين تسمى عند أهل البادية "بالنَفَسْ" والمصاب بها يسمى "المِنْفُوسْ" ويعتقدون أن عين الحاسد لها تأثير فعّال ولها القدرة على إيذاء من أصابته، وهناك أناس مشهورون بالعين فيتقونهم بإبعاد العزيز لديهم عن مدى نظرهم[4].

"والعين الحاسدة هي التي لا يصيب الرخاء أبدا تحت تأثيرها، وتحت تأثيرها يتوقف المطر في السماء، ولا تنمو الحشائش، ولا تتكاثر الحيوانات في الإسطبل"[5].

وكثيرا ما نسمع ترديد العامة لهذه العبارة: "العين حق والطيرا باطل" [6]. ومن العادات الشائعة لدى العرب في الجاهلية أنه إذا بلغ عدد الإبل عندهم ألفا فقؤوا عين فحلها، وكذلك الإبل إذا كثرت وسمنت اختاروا لها فحلا أعور، فالشيطان في عقيدتهم أعور والعين لا تصيب الأعور كما لا تصيب الشيطان.

أما بالنسبة للطفل الجميل فإنهم يختارون له أشأم الأسماء حتى لا تصيبه العين كاسم "عيفة أو غراب"، وكأن هذه الأسماء حرز له من العين[7].

ويروون الناس في ذلك أسطورة تقول: "كان هناك أخوان ولكنهما كانا في خصام دائم، وكان دكان هذا إلى جوار دكان ذاك، وكل يوم يجتمع أهل السوق ليفضوا ما ينشأ بينهما من نزاع، هذا يقول: أنت بعت أكثر مني، وذاك يقول أنت بعت الأكثر، ولا ينتهي بينهما الخصام، وذات يوم أرسل إليهما الحاكم فمثلوا بين يديه وقد عرف حسد كل منهما للآخر، فأراد أن ينهي هذا الخصام فقال لهما: سأعطي الثاني ضعف ما سيطلب الأول،

[1] – ينظر: محمد المرزوقي ، المرجع السابق، ص 219.
[2] – ينظر: خزعل الماجدي، بخور الآلهة، ص 206.
[3] – ينظر: أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ص 284.
[4] – ينظر: محمد المرزوقي، المرجع نفسه، ص 223.
[5] – خزعل الماجدي، بخور الآلهة، ص 216.
[6] – مقابلة شخصية مع الحاجة عائشة مليك، 21-02-2014، 13:00.
[7] – ينظر: محمد المرزوقي، المرجع نفسه، ص 223.

وحارا في الأمر وترددا كثيرا ثم تقدم أحدهما وقال للحاكم :أطلب أن تقلع إحدى عيني لكي تقلع لأخي كلتا عينيه"[1].

وتدل الحكاية على قوة الحسد وخطورته، فهو يفرق بين الأخ وأخيه، ويؤدي إلى إيقاع الأذى بالنفس وبالآخرين، ولا يقدر على نزع تأثيره أحد لأنه مستقر في أعماق النفس، والحكاية قصيرة وعناصرها قليلة وهي قوية التأثير.

ويداوى الطفل المنفوس بالتعاويذ والبخور والأحجبة، ومن التعاويذ "عِينْ الحَسُود فِيها عُودْ"[2].

وكذلك يرش المنفوس بالماء والملح وتردد هذه التعويذة:

مِلْـح الذِكَـــــــــرْ فِي عِينْ مِنْ نِكَّـــر *
شِوَانَا الله يِشْـــــــوِيه* نجَّنَا مِنَا دُكَّـــهَا فِيه
عِينْ الحَسُود فِيها بَعْرَة* وَعُود حَاشَى القُعُود[3]

ويقال كذلك: "عِينْ الحَسُود، بَعِرْتِين وزِرِيعَة شُنْقَارَة عُود بُزْكَة خَالِدِين رِقِيعَة"[4].

وقد يحرق الملح مع البصل في الصباح الباكر قبل شروق الشمس ويقال هذه التعويذة :

"طَلَقْنَا المِلَحْ والبِصَـل لاَ تُضُرَك عِينْ أَنْثَى ولَا ذَكَر"[5].

وفي منطقة سوف يستعمل كثير من الناس "طلوق أشفاع" والذي تم ذكره فيما سبق وذلك بعد إحراقه مع بعض الأعشاب وهي "أم الناس، ودَادِ النَبِي" وهذه النباتات تختلف تسميتها من منطقة إلى أخرى، وتقال هذه التعويذة: طُلُـــوق أَشْفـــَاع يَجْعَـــلَه نَفَّـــــــــاع
أم الناس طِيّر الأوكاس* في عِينَـــــــــيَّا وعِنِين النَّاس
الدَاد في عِين الحُسَّـاد عَمْتِي عَرْعَارَة في عُيُون النَّظَارة[6].

ويذكر محمد المرزوقي في كتابه طريقة يتداوى بها أهل البادية في الجنوب التونسي حيث يؤخذ الطفل المصاب إلى راقية معروفة بين الناس بهذا العمل، ويشترط أن تكون الرقية معطاة لها، أي أنها ورثتها عن غيرها أو تلقتها عن

[1] – أحمد زياد محيك، من التراث الشعبي، ص 200.
[2] – أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ص 284.
* – في عين من نكر: أي الشخص الذي حسدنا في الخير والرزق.
* – شوانا الله يشويه، أي حرقنا بعينه والله سوف يحرقه.
* – البعرة: وهي فضلات الجمل.
[3] – مقابلة شخصية مع خضرة شراحي، 24-02-2014، 16:40.
[4] – مقابلة شخصية مع الحاجة كلثوم غربي، 16-03-2014، 11:00.
[5] – مقابلة شخصية مع الحاجة كلثوم غربي، 16-03-2014، 11:00.
* – الأوكاس: أي السوء والشر.
[6] – مقابلة شخصية مع الحاجة كلثوم غربي، 16-03-2014، 11:00.

شيخه لها في هذا الفن (فيرقد المصاب بالعين على ظهره ممددا وتجلس بجانبه الراقية، فيأتونها بعود أو بمغرفة السقاء، وهي ملعقة طويلة يحرك بها الطعام في القدر، وبعصابة سوداء، وهي نسيج من الصوف تجعله النساء عصابة لرؤوسهن، فتربط طرف العصابة في شكل عقدة ثم تنفيس العصابة بذراعها وتضع في نهاية الذراع شوكة أو عودا صغيرا، ثم تضع مثلها في الذراع الثاني ومثلها أيضا في نهاية الذراع الثالث، ثم تجمع العصابة كلها في يدها وتشرع في تدوير يدها الحاملة للعصابة على رأس المريض سبع مرات وتقرأ أثناء ذلك هذه العزيمة:

يا نَفْس يا نَفِيســـــــــة أُخْرُجِي مِنْ هَالفِرِيسَـــــة
كَانِك مِنْ النِّســـــــاء أُخْرُجِي من الكِسَـــــاء
وكَانِك من الرِجـــــــال أُخْرُجِي من الجبَـــــال
وكَانِك من الخَـــــــدَم أُخْرُجِي من القِـــــدَم
وكَانِك من أُمْهَـــــــا أُخْرُجِي من فَمّهَـــــا
وكَانِك من بَابَـــاهَـــــا أُخْرُجِي من قِفَاهـــــا
الشَّابِب والعَـــــــزُوز يَحْرُثُـــوا في القَرْقَـــــازْ
والقَرْقَاز فيه الزِرِيعَة مَا تَنْبِت والنَفِس في الفِرِيسَة ما تثبت [1].

ثم تحل العصابة وتعيد ذرعها، وإذا وجدت الشوكة في مكانها أي في نهاية الذراع دلَّ ذلك على أن النفس لم تخرج من المريض بعد، فتعيد الراقية العملية نفسها، وإذا وجدت الشوكة ابتعدت عن مكانها، دلَّ ذلك على أنّ المريض شفي من إصابته، فتنزع الشوكات أو الأعواد وتحرقها، كناية على أنها أحرقت عين المعيان [2].

والطريقة نفسها معمول بها في منطقة وادي سوف في علاج الطفل المنفوس، لكن مع تقديم وتأخير في بعض الكلمات، وكذلك قد تطلب الراقية من أهل المريض إحراق بعض الأنواع من الأعشاب، كأم الناس وداد النبي وطلوق أشفاع أو الحرمل والكمون الأسود أو الجاوي وغير ذلك من الأعشاب التي يعتقد أنها تطرد النفس وتحرقها.

وفي كثير من الأحوال تبدأ الراقية الرقية بقولها: "جيتك بالجاه * وبرسول الله أظهري * من الماكلة * والشراب، وتذكر بقية الكلمات الماضية وتختم رقيتها بقولها: طارت عين اللي ما صلى على رسول الله، ثم تدير العصابة على

[1] – شرح الأبيات : أيتها النفس أخرجي من هذا الجسد إذا كنت من النساء أخرجي من الكساء إذا كنت من الرجال أخرجي من الجبال إذا كنت من النساء أخرجي من الكساء،إذا كنت من الخدم أخرجي من القدم،إذا كنت من أمها أخرجي من فمها، إذا كنت من أبها أخرجي من قفاها والشيخ الأشيب والعجوز يحرثوا في الأرض ذات الحصى. والأرض فيها البذور. محمد المرزوقي،مع البدو في حلهم وترحالهم، ص 224.

[2] – المرجع نفسه ، ص 224.

* – الجاه: وأصحاب الجاه هم الرسل والأولياء الصالحين.

* – أظهري: أخرجي.

* – الماكلة: الطعام، الأكل.

الرأس سبع مرات، وتقول أثناء الإدارة البركة (أي واحدة من السبعة)، اثنين من السبعة، ثلاثة من السبعة،حتى تصل إلى سبعة من سبعة"[1].

ولم يكتف الناس بترديد تلك التعاويذ بل لجئوا إلى تعليق التمائم وكتابة الأحجبة ومن التمائم التي يعتقد أنها تحمي من عين الحسود "الخمسة" والتي يستعملها النساء كحلية وهي من الذهب أو الفضة وشكلها مثل كف الإنسان وإلى جانب ذلك حلية أخرى على شكل سمكة (حوته) وكذلك ناب ذئب وقرن غزال... وغيرها من التمائم التي تعلق على صدر الطفل أو على شيء يخشى عليه من الحسد كالدواب والسيارات، وكما تلجأ الأم إلى الرقاة والسحرة لكي يكتبوا لها حجابا أحرزا يقي ابنها من حسد الحاسدين.

ويعتقد كثير من الشعوب أن العدد خمسة له صفة سحرية لأنه عدد أصابع اليد، ويعتقد كذلك أن مد اليد وبسط راحتها والأصابع في وجع الحسود يمنع شر العين، وكثيرا ما يرسم الناس على أبواب منازلهم وعرباتهم يدا مبسوطة الأصابع[2]. وكثيرا من الناس من يردد في كثير من المناطق هذه العبارة: "خمسة وخميس حضر محمد وغاب إبليس" [3]، ويعتقدون أنهم إذا رددوا هذه التعويذة تحميهم من أذى العين وتدفع شرها، ويعتقد أن يوم الخميس وهو اليوم الخامس من أيام الأسبوع ملائم للقيام بالطقوس السحرية التي تمنع شر الحسد ويختار آخرون هذا اليوم لزيارة قبور الأولياء المشهورين لدفع شر هذه العين [4]. ويستأنس البعض ويستبشر بيوم الخميس ويعتقدون أنه يوم عظيم كيوم الجمعة ويسمونه "بيوم الونيس".

-القرينة:

وتعد القرينة واحدة من الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان، ومن المعتقدات الشعبية التي يعتقدها كثير من الشعوب أن القرينة غير قادرة على الإنجاب وبذلك ظهر حسدها للمرأة الإنسية وحقدها عليها، وكثيرا ما نسمع الأمهات تتحدثن عن القرينة التي تصيب الأطفال، وهي التي تسمى بمصر وبعض المناطق الأخرى بأم الصبيان، وتظهر هذه الأخيرة ليلا مدفوعة بدافع الحسد والغيرة لكي تقتل الجنين في بطن أمه، فتضرب الحامل على بطنها أو تهددها في حملها، وقتل الطفل كذلك بعد الولادة، وتسبب له أمراض الأطفال كالضعف ونحولة الجسم وكثرة البكاء والصراخ المستمر، وحدّة الانفعال والتأخر في الكلام، والتأخر في المشي وربما العتمة [5]. وعندما تظهر على الطفل هذه الأعراض تشعر الأم أن مرض طفلها راجع إلى إصابة القرينة له، فتلجأ به إلى الساحر ليكتب لها

[1] – محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 225.

[2] – ينظر: يونس عبد الحميد، معجم الفولكلور مع مسرد انجليزي – عربي، مكتبة إلكترونية، ص: 241.

[3] – مقابلة شخصية مع مسعود عوينات، 64 سنة، حي الغربية حاسي خليفة، 23-07-2014، 17:30.

[4] – ينظر: المرجع السابق، ص241.

[5]– محمد الجوهري، الصحة والمرض ، ص 304.

بعض الوصفات، وكتب السحر الاحترافي مليئة بالمئات من هذه الوصفات التي تناسب كل الظروف والأمراض وأبرزها وأشهرها جميعا –وهو ما يمكن للام أن تشتريه جاهزا من السوق– السبع عهود السليمانية: وهي عبارة عن عهد أخذه سيدنا سليمان على أم الصبيان هذه أو (القرينة، أو التابعة، أو ملكة الأقران) وتقول الرواية أن سليمان قد أمسك ذات يوم بهذه السيدة ولم يخلصها من قبضته إلا بعد أن أعطته هذا العهد ألا تلمس أبدا الطفل الذي يحمل هذه العهود في رقبته[1].

ويظهر أذى القرينة في تبديل الطفل السليم الصحيح ، وتحل محله طفلا عليل النفس أو الجسم، وأهم سيمات الطفل المبدول الصراخ العالي المستمر.

ومن الممارسات العلاجية التي تمارسها النساء في الصعيد المصري لعلاج أطفالهن المبدولين الذهاب إلى ضريح الولي (الشيخ حسن أبو رايتين) ومعها ابنها وفي وقت آذان الجمعة وتضع الطفل المبدول على مفتاح باب الضريح المصنوع من الخشب، والذي يطلق عليه اسم "الضبة" وتقول هذه العبارة: "يا ضبة ضبية وإن ضبيتهش خذيه" [2] وتكرر هذه الممارسة ثلاث مرات في كل يوم جمعة، وفي نهاية هذه الجمع الثلاث إما أن يشفى الطفل أو يموت.

[1] – ينظر: محمد الجوهري ،المرجع السابق، ص 304.

[2] – المرجع نفسه، ص 305.

المبحث السادس: تجليات الطب الشعبي والطفل في الأمثال الشعبية

1- الطب الشعبي في الأمثال الشعبية

يعكس الطب الشعبي الارتباط الوثيق بين مختلف عناصر التراث الشعبي فهناك صلة وطيدة بينه وبين عنصر آخر من عناصر المعتقدات الشعبية ألا وهي السحر، ففي كثير من الحالات لا نستطيع أن نفصل بينهما فالسحر يكشف عن الأمراض ويعرف أسبابها وعلاجها.

كما يرتبط الطب الشعبي بالأدب ويتضح ذلك فيما ورد في الأدب من أراجيز وأهازيج شعبية وأشعار وقصص وحكايات وأساطير وأمثال شعبية عن الصحة والمرض ولكنني سأقتصر دراستي على عرض أهم الأمثال التي تناولت ثقافة الشعوب وعاداتها وتقاليدها في التعامل مع الأمراض التي تصيب الطفل في مختلف مراحل نموه وتطوره وكذلك أهم القيم العلاجية والبعض من أنماط العلاج ووصفاته.

والأمثال في كل قوم خلاصة تجاربهم ومحصول خبرتهم، وهي ضرب من التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة البعد كله عن الوهم والخيال [1]. كما أنها أصدق وأكثر تجارب الأسنان حكمة والطب الشعبي هو وليد تلك الخبرة المتراكمة عبر آلاف السنين، والتي تناولتها الأجيال جيلا بعد جيل، فالإنسان لا يمكن أن يشفى من الأمراض دو وجود الخبرة البشرية الناتجة عن طريق التجارب في استخدام الأعشاب والنباتات والحيوانات وغيرها من إمكانيات البيئة المتاحة له، وسأعرض فيما يلي الأمثال الشعبية التي تناولت هذا الغرض:

الأمثال الشعبية التي ذكرت فيها كلمة طبيب:

"اسأل المجرب ولا تسأل الطبيب" [2]: وورد هذا المثل في صيغة الأمر والغرض منه النصح والإرشاد للشخص الذي تصادفه نفس الحالة التي عايشها الشخص الذي جربها لأول مرة، وكثيرا ما يردد هذا المثل في الأوساط الشعبية، فعندما يصاب طفل بمرض معين ينعت لأمه كثير من الوصفات العلاجية لكي تستخدمها لعلاجه، ويقال لها أنا جربت كذا وكذا..... ونفعتني، فيكون المجرب ذلك خير من الطبيب.

وورد نفس هذا المثل في البحرين: "راح يطبها عماها، الطيب غلب الطبيب، الكحل طبيب العيون، المجرب غالب الطبيب"[3].

[1] - ينظر: نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، (د ت)، ص 141.

[2] - مقابلة شخصية مع نجاة شراحي، 23-01-2014، 14:00.

[3] - زينب عباس عيسى، المرجع السابق.

ويقال كذلك:

"لي ما جرب ما يكون طبيب" [1] ويعني ذلك أن الإنسان بفضل تجاربه الكثيرة في التغلب على الأمراض والتخلص منها أصبح طبيب نفسه، فهو يعرف كيف يشخص مرضه ويصف علاجه.

"طبيب النفس مولاها" [2] ويقصد هذا المثل أي أن كل شخص يعرف دائه ما به من داء وما عليه من دواء وأنه هو مسؤول عن نفسه فهو يتسبب في حدوث مرضه وكذلك يعرف كيف يحافظ على صحته، أما بالنسبة للطفل فأمه هي المسؤولة عليه وتعرف كيف تحافظ على صحته وعافيته.

ومن الأمثال التي ذكرت فيها كلمة "الداء والدواء":

الدواء في أخس الشجر" [3] ويعني ذلك أن الأدوية موجودة في الأشجار التي لا يهتم بها الناس أو الأشجار الشوكية المؤذية.

وتقول الحاجة الزهرة: "كل شجرة نابتة فيها حكمة ثابتة" [4]، ويعني ذلك أن كل الأشجار التي تنبت على وجه الأرض فيها فوائد كثيرة وإلا ما كان الله ليخلقها وأن هذه الفوائد والمنافع لا تعود على الإنسان لوحده بل تشاركه في ذلك الحيوانات والكائنات الأخرى.

"من لعب بالدواء، الدواء لعب به": [5] ويقصد بهذا المثل أن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، فالدواء لا يتهاون به وله مقادير محددة لا يستهان بها، وإذا تلاعب الشخص به عاد عليه بالضرر والخطر.

"أربط طبعك الكل ينعت لك دواء": أي إذا ظهر على الشخص داء فإن الكل يصف له الدواء وما له من الوصفات العلاجية المفيدة.

"لو كان تدروا بدواء للحلب... تبيعوا عنه الياقوت والذهب" [6]: ويقصد بهذا المثل الإشارة إلى الأهمية البالغة لنبات يعرف بالحلبة وكذلك أهميته الكبيرة في العلاج فهو أغلى وأثمن من الياقوت والمرجان والذهب.

"النار يا موسى دواء حتى للكلب والمرأة" [7]: وهذا المثل فيه إشارة إلى نمط من أنماط العلاج وهو الكي، والكي صالح لعلاج الإنسان والحيوان.

---

[1] – مقابلة شخصية مع يسمينة قاسمي، 54سنة، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 14-06-2013، 13:30.

[2] – مقابلة شخصية مع عبد الغني بن عمر، 61 سنة، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 29-02-2014، 18:40.

[3] – زينب عباس عيسى، المرجع السابق.

[4] – مقابلة شخصية مع الحاجة الزهرة عوينات، 24-07-2014، 19:20.

[5] – المرجع نفسه، الساعة نفسها.

[6] – مقابلة شخصية مع نجاة شراحي، 23-01-2014، 14:00.

[7] – مقابلة شخصية مع مبروكة شمسة، 24-06-2014، 18:00.

"الحبة السوداء ما يخش عليها داء" [1]:وفي هذا المثل إشارة كذلك إلى قيمة العلاجية والأهمية البالغة للحبة السوداء فهي شفاء لكل داء ويقال كذلك في بعض المناطق الحبة السوداء تبري كل داء.

وهناك أمثال شعبية تناولت بعض الأنماط والوصفات العلاجية نذكر منها:

"الكيّ آخر الشيء"[2]: ويعنى بهذا المثل أي أن الكيّ هو آخر شيء في السعي وراء الشفاء ويتم اللجوء إليه بعد فشل كل المحاولات وهذا لخطورته وصعوبته.

"النية بالنية والحاجة مقضية"[3]: ويقصد بهذا المثل أنه على المريض أو أهله أن يعقدوا النية في الشفاء من المرض المرض عندما يقومون ببعض الوصفات أو الممارسات العلاجية وخاصة عندما ينوون الذهاب إلى المتخصصين في العلاج الشعبي، ومثال ذلك الراقي أو ضبية العرب وغيرهم.....

"ما يلزك للمر كان الأمر منه": ويقصد بهذا المثل أن الإنسان اندفع إلى أكل المر (وهي الأعشاب والنباتات التي طعمها مر) عندما كان يعاني شيئا أعظم منه مرارة.

"سافروا تبروا"[4]: وهذا المثل يقصد به تغيير الروتين والمكان للمريض وتقول الحاجة الزهرة :"كل محل وأملاكه"، أي كل مكان وملائكته، فالجو الملائم ضروري لراحة المريض وشفاءه ففيه ينسى أنه مريض ويشعر أنه تعافى.

2- الطفل في الأمثال الشعبية:

تعتبر الأمثال الشعبية الخاصة بالطفل من أغنى المصادر التي تحفظ لنا ببقايا معتقدات وممارسات عادات وتقاليد مارستها جداتنا وأمهاتنا لأطفاله ن من قبل، كما أن هذه الأمثال مستمدة من الواقع الحي الذي تعيشه الأم مع طفلها بكل مراحله المجتمع الذكورية، ونجد أنه في كثير من المجتمعات أن البنت غير مسرور بميلادها، وأن البشارة تكون للولد الذكر ول يهت الأنثى، وسنعرض فيما يلي أبرز الأمثال الشعبية التي تناولت الطفل وكيف ميزت الذكر عن الأنثى.

وفي فلسطين يفرح بولادة الصبي أكثر من الفرح بولادة البنت، فميلاد البنت يولد الخيبة والامتعاض، ومن ذلك تغنى إمرأة.

يُوم قَالُولِي ابنَية هَالَتْ الحِيطَة عَلَيَا[5]

[1] – مقابلة شخصية مع مباركة خلايفة، 09-10-2014، 09:00.

[2] – مقابلة شخصية مع خديجة الفار، 20-12-2014، 13:30.

[3] – مقابلة شخصية مع الحاجة مباركة شراحي، 03-11-2014، 19:00.

[4] – مقابلة شخصية مع الحاجة الزهرة غنايم، 68 سنة، حي 20 أوت 1956 حاسي خليفة، 09-07-2014، 10:00.

[5] – نضال فخري طه، المرجع السابق، ص 91.

ويقال كذلك في الأمثال: هم البنات للممات، مصائب الدنيا أربعة الذين الدنيا ولو درهم والبنت ولو مريم، والغربة ولو ميل، والسؤال ولو كيف الطريق، ومن الأمثال الشعبية التي تقال هن المرأة التي تلد البنت:

"مكروهة وجابت بنت

المعيز ولا الفقر والبنوت ولا العقر

اتجيب حيّة ولا تجيب بنية

خلف البنات من المتعبات"[1]

أما الأمثال التي تقال للمرأة عندما تلد الذكر:

"يوم قالولي غلام انسند ظهري و قام .

لما يجي الصبي بنصلي على النبي"[2].

ومن الأمثال الشعبية التي تهتم بتنشئة الطفل وتربيته وتكشف كذلك عن نمط من العادات والتقاليد السائدة في بعض المناطق وذلك عادة التمسيد بعض المواد الدهنية مثل زيت الزيتون والتي تحدثنا عنها فيما سبق بحيث يمسد الطفل في أيامه الأولى من الولادة، ولكن قد تغفل الأمهات عن القيام بهذه العملية، وقد تلجأ إحدى النساء إلى تفكيرها بذلك بواسطة الأمثال الشعبية، ومن أمثلة هذه الأمثال: "ولد المعفونة يقتله بوسالم ولا بوكرومة"[3]. أي أن المعفونة وهي الأم التي تغفل عن ابنها ولا تهتم بصحته فهو سوف يموت بالأمراض (بوسالم أو يوكرومة وكلها نوع من الأمراض التي تصيب الأطفال)

ويقال كذلك على لسان الطفل: "لو كان تدري أمي ما في س نهناتي تديري عكة ما بين كتيفاتي "[4] أي أن عندما يمر بمرحلة تنبيت الأسنان وهي أصعب مرحلة من مراحل طفولته الأولى تنصح الأم بتمسيد جسمه بدهن وخاصة منطقة الكتف، ويقال أيضا عن الأمثال التي تتعلق بالطفل عندما يكون في مرحلة تنبيت الأسنان: "العمة تخلي الأسنان ملتمة والخالة تخلي الأسنان نخالة"[5]. أي أن الطفل إذا كانت علاقة بعمته أكثر من علاقة بخالته فإن أسنانه سوف تكون ملتمة، أما إذا كان فإن أسنانه سوف تكون بالية وراشية.

[1] – نضال فخري طه، المرجع نفسه، ص 92.

[2] – المرجع نفسه.

[3] – مقابلة شخصية مع مبروكة وطوط، 24-02-2014 ، 10:30.

[4] – مقابلة شخصية مع فاطمة الأسود، 13-06-2014 ، 20:15.

[5] – مقابلة شخصية مع الحاجة خيرة عوينات، 04-07-2014 ، 17:35.

أما الأمثال الشعبية التي تتناول تربية الطفل ورعايته: "هزيتك لا ضريتك "[1] أي أن الأم عندما تأخذ ابنها . وتخاف عليه من الحسد تقول له هذا المثل وكذلك : "من ايد لي ايد الشر برا وبعيد "[2] ومعناه الطفل عندما يولد تأخذه أمه تارة، وجدته تارة أخرى وكذلك الخالات والعمات ومنه يقال من يد إلى يد فإن الشر سوف يكون بعيدا عنه.

– ويقال كذلك: "تربية الصبيان مثل أكل الصوان "[3] أي الأطفال الذكور تصعب تربيتهم وأن تربية البنت أسهل بكثير من تربية الولد لأنه يتميز بالشدة والصلابة.

– من الأمثال أيضا: "مما يرقد الصغير كما يرقد البعير "[4] ومعنى ذلك أي أن الطفل الصغير لا ينام بسهولة وهو يظل يلهو ويلعب ولا ينام حتى لو كان مريضاً.

"الصغير كذاب والديه "[5] ومعنى ذلك أن الطفل ذو طابع وصفات متغيرة ولا يمكن لوالدته أن تطلق عليه حكماً معيناً في طبائعه، كأن يقول الأم أن طفلها لا يأكل الحلوى فيمكن أن يأتي يوم يأكلها.

"أيام السقم بالعدة "[6] ويقال عن هذا المثل الشعبي عندما يكون الطفل مريضاً ولتهدئة الأم ومواساتها يقال لها ذلك، أي أن أيام المرض بالحساب وعدتها قليلة وأنه مهما طال مرضه سوف يأتي يوم ويتماثل للشفاء ويكون بصحة جيدة.

كما أن هناك أمثال شعبية تناولت الطفل من حيث الخصائص الفزيولوجية ويقال: "قصير المفاصل والقلب واصل"[7] أي أن الطفل ضعيف في بنيته الجسمية وأنه يتميز بقصر القامة ولكن قلبه وعقله تام.

ويقال أيضا: "كبر الرأس للدبارة وكبر الرجلين للخسارة "[8] لأن هذا المثل يقال عندما يكون الطفل كبير الرأس فيقال به في المستقبل بأنه سوف يكون ذا رأي صائب ومال وافر وأن كبر الرجلين سوف يكون في المستقبل ذا خسارة فادحة.

[1] – مقابلة شخصية مع خضرة شراحي، 24-06-2014، 17:30.

[2] – مقابلة شخصية مع يسمينة قاسمي، 06-04-2014 ، 14:40.

[3] – نضال فخري طه، المرجع السابق، ص 92.

[4] – مقابلة شخصية مع مبروكة شمسة، 29-05-2014 ، 18:00.

[5] – مقابلة شخصية مع الحاجة مباركة شراحي، 13-05-2014، 19:30.

[6] – مقابلة شخصية مع الحاج عمار شراحي، 81 سنة، حي 20 أوت 1956حاسي خليفة، 21-04-2014، 20:35.

[7] – المرجع نفسه .

[8] – مقابلة شخصية مع مبروكة خلائفة،17-08-2014 ، 17:50.

"ريحة أمي تكفيني لو كان بالسم تسقيني "[1] ويقال هذا المثل الشعبي عندما تكون الأم غير عطوفة عن ابنها فبقال لها ذلك التقرب منه والعطف عليه.

"حوش بلا صغار نوع جردة بلا نوار"[2] أي بيت بدون أطفال مثل بستان بدون أزهار، ويقال هذا المثل عندما عندما يكون هناك بيت بدون أطفال، نظرا للدور الذي يلعبه الطفل في تغيير الروتين وبعث روح المرح والفرح والتسلية في البيت.

"كل قطيط في عين أمه غزال "[3]، أي أن الأم تنظر إلى ابنها بنظرة إيجابية وإن كان مظهر الطفل يتناقض مع ذلك، فهي ترى أن ابنها يتبوأ أعلى المراتب وأحسنها وأنه أفضل بكثير عن بقية الأبناء.

[1] – مقابلة شخصية مع بشيرة جلول، 18-07-2014 ، 17:00 .

[2] – مقابلة شخصية مع اسماعيل جلول، 64 سنة، حي الغربية حاسي خليفة، 30-01-2014 ،20:00.

[3] – مقابلة شخصية مع خضرة شراحي، 24-03-2014 ، 11:45.

خلاصة الفصل الثاني:

تناولنا في دراستنا لهذا الفصل جوانب متعددة من الثقافة الشعبية العلاجية وقد بدأنا بدراسة الممارسات العلاجية الخاصة بالأمراض التي تصاحب الطفل. وقد ثبت استخدام أفراد كثير من المجتمعات لأكثر من اتجاه في الممارسات العلاجية وأهمها الاتجاه الأول وهو ما يعرف بالعلاج الشعبي الطبيعي وفيه تستخدم المواد الطبيعية الموجودة في الطبيعة كالأعشاب والنباتات والحيوانات....إلخ أما الاتجاه الثاني يعرف بالعلاج الشعبي الغيبي وتستخدم فيه السحر والأحجبة والتمائم والطلاسم. كما درسنا في هذا الفصل المتخصصون بالممارسات العلاجية والقائمون بها وفي الحقيقة أن دراستنا كانت مقتصرة على المعالجين الموجودين في المجتمع في الحقبة الزمنية التي تعيشها الآن ومن بين هؤلاء الطُّلْبَة والطَّياحة والشَّباحة وأهل الخبرة، ثم عرجنا كذلك إلى الطرق والأساليب التي تستخدم في علاج أمراض الطفولة وهذه الأساليب كثيرة ومتنوعة ومنها العلاج باستخدام الأعشاب والنباتات والحيوان وعناصر الطبيعة الأخرى بالكيّ والفصد والأحجبة والطقوس السحرية وكذلك الرقية.

ثم تعرضنا إلى الطقوس المشهورة في العلاج السحري ومنها الفوهو والتكفير والتطهير وكذلك طاسة الخضة وزيارة الأولياء وأيضا الخضرة الشعبية وبعدها تناولنا أهم الأمراض الشائعة في الطفولة وكيفية علاجها بالأعشاب والنباتات وكذلك الأحجبة والطقوس السحرية فهذه الأمراض كانت كثيرة متنوعة فمنها التي تصيب الجسم ومنها التي تصيب الدماغ كالأمراض النفسية كالعين والحسد والقرنية وغيرها.

وأخيرا درسنا تجليات الطب الشعبي والطفل في الأمثال الشعبية ففيه تناولنا صورة الطب والمكانة التي يتبوأها الطفل في الأمثال الشعبية، فهي بدورها تعكس نمط الحياة التي يعيشها الإنسان وتكشف عن عاداته وتقاليده وواقعه.

خاتمة

خاتمة

بعد هذه الجولة الممتعة في عالم الطفل والطفولة والمعتقدات الشعبية التي تتعلق به وكذلك موقف الأدب الشعبي في التعبير من مراحل الطفل لبعض فنونه في حالات الصحة والمرض توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

إن المعتقدات الشعبية هي تلك الأفكار والمشاعر التي يؤمن بها الفرد والجماعة، والتي ترتبط كل الارتباط مع الطقوس التي تمثل جزءاً من التراث الشعبي الذي تعتبر عنه بواسطة الجسد فالطقوس هو حالة انفعالية يترجم إلى سلوك معين. تكشف العادات والتقاليد التي تمارسها الأمهات في تنشئة الطفل وتربيته عن طبيعة المعتقدات التي يؤمن بها ذلك المجتمع التي تنتمي إليه.

تعتبر مراحل عملية الولادة طقساً من طقوس العبور، والتي ينفصل فيها الجنين عن رحم أمه بعد أن كان مع علاقة دائمة بها طيلة تسعة أشهر.

إن أغاني الأمهات لأطفالهن تعتبر شكلاً من أشكال التراث الشعبي مثلها مثل حكاية أو موّال أو مثل، لا يعرف مبدعها الأول، وما هي إلا نتاج الأجيال، نالها مع مرور الزمن تطوير وتعديل، وحملت إرثا من المشاعر والعواطف، حتى غدت صبغة أصيلة تستجيب إليها كل نفس، لأنها تعتبر موروثا غني الدلالة قوي التأثير.

يعتبر الختان طقساً من طقوس العبور فهو عبارة عن طقس تأسيسي لرجولة الطفل المستقبلية. وهو اختبار لقدرة الطفل عن تخطي تلك المرحلة أو الفئة التي كان ينتمي إليها سابقا وهي فئة الطفولة. وانتقاله إلى فئة أرقى اجتماعيا وهي فئة الشباب والرجولة.

إن الطب الشعبي له علاقة وطيدة بالأدب، وذلك لما ورد في الأدب من أساطير وحكايات وقصص وأمثال وحكم تكشف عن القيمة العلاجية لبعض الأعشاب والنباتات، وكذلك طبيعة الأمراض وأهم أعراضها ونمط العلاج منها. كما أن الطب الشعبي ممارسة علاجية تقليدية متداولة في كثير من المجتمعات الشعبية وخاصة في علاج الأمراض التي يتعرض لها الطفل.

إن طرق وأساليب الممارسات العلاجية تتبلور في اتجاهين: فمنها ما يدخل ضمن العلاج الشعبي الطبيعي والذي يتضمن العلاج بالأعشاب والنباتات الطبيعية والحيوانات والعلاج بالكيّ ....إلخ، ومنها ما يتعلق بالعلاج الشعبي الغيبي مثل: التعاويذ وكتابة الأحجبة القرآنية والسحر وتوابعه.

إن العلاج بالأعشاب والحيوانات منتشر في المجتمع عموما ومتداولة بكثرة، أما العلاج بالكيّ والفصد والعلاج بالطب الغيبي يتداولها معالجون خاصون ذو خبرة ومهارة فائقة.

إنّ روّاد العلاج بالكي والفصد والرقي والسحر قد تحفظوا على بعض المعلومات ولم يفيدونا بخبرتهم إلا الشيء الضئيل منها.

ولا يفوتنا في نهاية الأمر أن ننوه أن دراستنا ليست حصرا جامعا مانعا لكل المعتقدات المتعلقة بصحة الطفل وكذلك طرق العلاج الشعبي ووصفاته. وانتهيت إلى قناعة مفادها أن كل شكل من أشكال العلاج الشعبي للأمراض التي يتعرض لها الطفل تستحق دراسة منفصلة نظرا لتنوعها وتعددها.

ملحق الصور

الملحق رقم 01 : صور خاصة بالطفل

الحبل السري المرتبط بالمولود

عينا المولود عند الولادة

رأس المولود عندما يولد

ثديا المولود بها الحليب

-وحمات الولادة للمولود الجديد

بشرة المولود عند الولادة

طفل مصاب بمرض الجدري	طفل مصاب بمرض الحصبة
طفل وهو بملابس الطهارة	طفل وهو مقمط

الملحق رقم 02 :صور لبعض الأعشاب النباتية

<table>
<tr>
<td>
البصل</td>
<td>
الحلبة</td>
</tr>
<tr>
<td>
الزعتر</td>
<td>
كمون أخضر</td>
</tr>
<tr>
<td>
الزنجبيل</td>
<td>
النعناع</td>
</tr>
<tr>
<td>
البردقوش</td>
<td>
العسل</td>
</tr>
</table>

الكزبره :	**العرعار**
تمر الغرس	**الهردوقوش :**
زيت الزيتون	الكمون الأسود

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

الكتب المقدسة

*** القرآن الكريم برواية ورش**

*** الكتاب المقدس، سفر التكوين الإصحاح السابع عشر، طبعة الشرق الأوسط الحديثة.**

الرّواة

مقابلات شخصية مع كل من:

1. اسماعيل جلول، 64 سنة، حي الغربية، حاسي خليفة.
2. بشيرة جلول، 68 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.
3. التجاني شراحي، 74 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.
4. تجانية شراحي، 59 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.
5. الحاج عمار شراحي، 81 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.
6. الحاجة الزهرة عوينات، 71 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.
7. الحاجة الزهرة غنايم، 68 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.
8. الحاجة بشيرة عوينات، 84 سنة، حي الغربية، حاسي خليفة.
9. الحاجة خيرة عوينات، 61 سنة، حي الغربية، حاسي خليفة.
10. الحاجة عائشة كشوط، 81 سنة، حي الغربية، حاسي خليفة.
11. الحاجة عائشة مليك، 80سنة، حي الشرقية، حاسي خليفة.
12. الحاجة كلثوم غريبي، 78 سنة، حي الشرقية، حاسي خليفة.
13. الحاجة مباركة شراحي، 64 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.
14. الحادة عوينات، 78 سنة، حي الغربية، حاسي خليفة.
15. خديجة الفار، 80 سنة، حي الشرقية، حاسي خليفة.
16. خديجة شمسة، 46 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.
17. خضرة دويم، 79 سنة، حي العبائدة، حاسي خليفة.
18. خضرة شراحي، 68 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.
19. الزهرة عاد، 81 سنة، حي الغربية، حاسي خليفة.
20. زينب عوينات، 61 سنة، حي الغربية، حاسي خليفة.

21.الشيخ عبد الله لعبيدي، 73 سنة، حي العبائدة، حاسي خليفة.

22.عبد الغني بن عمر، 61 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.

23.عبد الغني عوينات، 64 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.

24.علية عوابد، 83 سنة، حي الهمائسة، حاسي خليفة.

25.الغايمة الفار، 68 سنة، حي المرزاقة، حاسي خليفة.

26.فاطمة الأسود، 81 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.

27.فاطمة كشوط، 82 سنة، حي الشهداء، حاسي خليفة.

28.فضيلة عوينات، 48 سنة، حي20 أوت 1956، حاسي خليفة.

29.مباركة خلايفة، 80 سنة، حي الشرقية، حاسي خليفة.

30.مبروكة علال، 78 سنة، حي الهمائسة، حاسي خليفة.

31.مبروكة وطوط، 85 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.

32.مريم حميداتو، 72 سنة، حي الشوائحة، حاسي خليفة.

33.مسعود عوينات، 64 سنة، حي الغربية، حاسي خليفة.

34.مسعودة بالنور، 69 سنة، حي الغربية، حاسي خليفة.

35.مسعودة بالنور، 72 سنة، حي الشهداء، حاسي خليفة.

36.مطيرة بريك، 81 سنة، حي الغربية، حاسي خليفة.

37.نجاة شراحي، 38 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.

38.هنية بالنور، 69 سنة، حي الغربية، حاسي خليفة.

39.هنية عوينات، 79 سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.

40.يسمينة قاسمي، 54سنة، حي 20 أوت 1956، حاسي خليفة.

المصادر والمراجع

1. ابتسام علام وأحمد مجدى حجازي وآخرون، الصحة والبيئة دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية، الجامعة المصرية، القاهرة، 2001، ط1.

2. ابن منظور، لسان العرب، ج4 ، باب الخاء مادة (ختن).

3. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1419-1999، ط3.

4. أحمد السعيد يونس، العادات الشعبية في طب الأطفال رؤية معاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1431 /2010، ط 1.

5. أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، دار النهضة المصرية، القاهرة، (دت)، ط2.

6. أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، دار المعرفة، بيروت، 1426-2005، ط5.

7. بدج والسن، آلهة المصريين، تر: محمد حسين يونس مكتبة مديولي، القاهرة، 1998.

8. بياركانا فاجيو، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا، تر: أحمد الطبال المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1993/1413، ط1.

9. خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق، عمان، 1997.

10. خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق، عمان، 1999.

11. خزعل الماجدي، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1998، ط1.

12. خزعل الماجدي، متوت سومر التاريخ، الميوثولوجيا، اللاهوت، الطقوس، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1998، ط1.

13. روست يانا جاكويا، صلوات وحكايات وأساطير حثية، تع: قاسم طوير، مطبعة عكرمة، دمشق، 1986، ط1.

14. شوقي عبد الحكيم، الشعر الفولكوري عند العرب، دار الحداثة، بيروت، (دت).

15. عبد الحميد حواس، أوراق في الثقافة الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2005، ط1.

16. غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات، تر: عادل زعيتر، كلمات عربية للنشر والتوزيع، القاهرة، (دت).

17. فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين، دمشق، 2002، ط4.

18. فراس السواح، لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، دمشق، 1985، ط1.

19. الفيروز أبادي، قاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1399هـ-1979م، ط3.

20. فيليب سيرنج، الرموز في الفن –الاديان-الحياة- تر:عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق، 1992، ط1.

21. كريم صمويل نوح، أساطير العالم القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ط1.

22. مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية، الصحة والبيئة، دراسة اجتماعية وأنثروبولوجية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، مصر، 2001، ط1.

23. محمد الجوهري وآخرون، الطفل والنشأة الاجتماعية، القاهرة، 2008.

24. محمد الجوهري وآخرون، النظرية في علم الفولكلور الأسس العامة ودراسات تطبيقية، القاهرة، 2003.

25. محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب، القاهرة، ج1، 1978، ط1.

26. محمد الجوهري، رشيد صالح والفلكلور المصري، دراسة لأعماله وفصول من تأليفه مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، (دم)، (دت)، ط1.

27. محمد المرزوقي، مع البدو في رحلهم وترحالهم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1984، ط2.

28. محمد عباس إبراهيم، المدخل إلى الأنثوبولوجيا النسبية الثقافة والمعتقدات الشعبية، ج1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1992.

29. محمد عبده محجوب، الطب الشعبي وضبط الأثنى دراسة أنثروبولوجية حقلية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 1429-2008.

30. مرسي الصباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 1999.

31. منير البعلبكي، موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت، 1983.

32. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، (دت).

33. نجوى عبد الحميد سعد الله، الطب الشعبي لقبائل البشارية في منطقة أسوان، دراسة في الأيكولوجيا البشرية ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، (دت).

34. يونس عبد الحميد ، معجم الفولكلور مع مسرد انجليزي – عربي، مكتبة إلكترونية.

قائمة مجلات

1. دعاء صالح إبراهيم، احتفالية سبوع الطفل الكنزي، دراسة ميدانية بكلابشة، مجلة أطلس، المأثورات الشعبية، الهيئة لقصور الثقافة، ع3، سبتمبر 2013.

2. زينب عباس عيسى، الطب الشعبي في البحرين، مجلة الثقافة الشعبية، ع12 ، شتاء 2010.

3. سامي سعيد الأحمد، معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع2، 1977.

4. عبد الرحمان مصيقر، الوصفات الشعبية المتعلقة بعلاج الأمراض، دراسة ميدانية، مجلة المأثورات الشعبية، الدوحة، قطر، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ع3، 1988.

5. عبد الرزاق صالح محمود، الطب الشعبي في منظور أطباء الطب الحديث، دراسة ميدانية في مدينة الموصل، مجلة الدراسات الموصلية، ع18، شوال 1428 هـ تشرين الثاني.
6. عبد العزيز رفعت، الطب الشعبي في قرية أعطو الوقف، مجلة الفنون الشعبية، القاهرة، ع 19، 1987.
7. علياء شكري، عادات دورة الحياة عند بلاكمان في كتاب فلاحو الصعيد ، مجلة الفنون الشعبية ، ع 19، 1987.
8. فاطمة عيسى السليطي، الاستعداد لمراحل الحمل والولادة في البحرين، مجلة الثقافة الشعبية، ع4، 2009.
9. ناجع المعموري ،العادات والتقاليد في الحلة، مجلة التراث الشعبي، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ع7، 1983.
10. نبيهة لمحمد الزبيدي، ترانيم الأطفال، مجلة التراث الشعبي، السنة الثانية، كانون الأول 1970، ع4.

قائمة الرسائل والدوريات

1. أحمد زغب، أعلام الملحون في منطقة وادي سوف نماذج وانطباعات مخطوط.
2. أحمد زغب، جمالية الشعر الشفاهي نحو مقابلة سيمائية للنص الشعري الشفاهي، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2007/2006.
3. بوحبيب حميد، الأشكال الشعرية الشفوية والبنيات الاجتماعية في بلاد القبائل، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي تخصص أدب شعبي ، 2011-2012.
4. حمودي جمال محمد، تمثلات المجتمع الجزائري لمرض السرطان، المركز الاستشفائي الجامعي لتلمسان نموذجا، مقاربة أنثروبولوجية طبية رسالة ماجستير في الانثروبولوجيا، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2005-2006.
5. عبد الحميد بوسماحة، إشكالية المصطلح، الموروث الشعبي وقضايا الوطن، محاضرات الندوة الفكرية السادسة، الملتقى الأول للموروث الشعبي، رابطة الفكر والإبداع، مطبعة مزوار، الوادي، 2006.
6. نجوى محمود عبد المنعم قاسم، ديناميات تغير التراث الشعبي في المجتمع المصري دراسة لعادات الطعام وآداب المائدة في إحدى القرى المتاخمة لمدينة القاهرة رسالة لنيل الدكتوراه في الآداب (اجتماع)، 1998.
7. نضال فخري طه، الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي، رسالة ماجستير جامعة نابلس، 2009.

قائمة المخطوطات

أحمد زغب ، اعلام الملحون في منطقة وادي وف نماذج وانطباعات، مخطوط

أحمد زغب، الفولكلور – النظرية- المنهج التطبيق، محاضرات في الأدب الشعبي ،مرقونة.

فهرس الموضوع

فهرس الموضوع

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-د
مدخل لدراسة الموضوع	18-9
مفهوم المعتقدات الشعبية	11
الطفل في الثقافة الشعبية	12
مفهوم الطب الشعبي	15
الفصل الأول: الطفل بين الأدب الشعبي والواقع الاجتماعي	73-19
المبحث الأول: العادات والتقاليد المتعلقة بالمولود جنينا ورضيعا	21
المبحث الثاني: تسمية المولود والاحتفال به	38
المبحث الثالث: المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل	42
المبحث الرابع: عادات وتقاليد تنشئة الطفل	49
المبحث الخامس: هدهدة الطفل والغناء له	62
المبحث السادس: ختان الطفل	66
خلاصة الفصل	73
الفصل الثاني: الطب الشعبي والطفولة	117-74
المبحث الأول: الممارسات العلاجية الشعبية لأمراض الطفولة	76
المبحث الثاني: المتخصصون بالممارسات العلاجية لأمراض الطفولة	83
المبحث الثالث: طرق وأساليب علاج أمراض الطفولة	86
المبحث الرابع: الطقوس المشهورة في العلاج السحري	89
المبحث الخامس: أمراض الطفولة وعلاجها	92
المبحث السادس: تجليات الطب الشعبي والطفل في الأمثال الشعبية	111
خلاصة الفصل	117
خاتمة	120-118

ملحق الصور	125-121
قائمة المصادر والمراجع	131-126
فهرس المحتويات	134-132
ملخص الدراسة	135

ملخص البحث

تمثل المعتقدات الشعبية جزءًا هاماً من التراث والأدب الشعبي، ولقد شكل الأدب الشفاهي المحظوظ في صدور الأمهات والجدات دعامة أساسية لبقاء هذا التراث وحفظه من الزوال.

من هنا كانت أهمية الدراسة للحفاظ على هذا الموروث وتدوينه وتوثيقه ودراسته، إن هذه الدراسة تبحث عن: كيفية استثمار الخبرة الشعبية المتراكمة عبر الأجيال في التعامل مع المولود والطفل؟ وما هي المواقف الأدبية التي تتجسد في مرحلة الطفولة من خلال المعتقدات الشعبية والأمراض التي يتعرض لها الطفل؟

وللإجابة عن إشكالية الدراسة تناولنا في المدخل المعتقدات الشعبية وأزلنا الغموض عن هذا المصطلح ثم انطلقنا إلى الطب الشعبي وعرفناه.

أما في دراستنا للفصل الأول فتناولنا العادات والتقاليد المراعاة في تنشئة الطفل وتربيته مع الوقوف على أهم المحطات الرئيسية في حياة الطفل والأم معاً ومنها: الحمل، الولادة، تسمية المولود، والاحتفال به وكذلك المعتقدات المتعلقة بالطفل وختانه. وأيدنا كل ذلك بالأمثلة والأغاني الشعبية.

أما في دراستنا للفصل الثاني فقد تناولنا الممارسات العلاجية الشعبية الخاصة بأمراض الطفولة وأهم القائمين بها وكذلك الطرق والأساليب والطقوس السحرية في هذا النوع من العلاج.

وتناولنا كذلك أمراض الطفولة الشائعة بين الأطفال وأوردنا الرقى والتعاويذ التي تطرد العين الحاسدة والقرينة التي تسبب للطفل المرض والأذى ثم انتقلنا إلى صورة كل من الطب الشعبي والطفل في الأمثال الشعبية.

إن الأفكار التي يؤمن بها الفرد تعتبر من المعتقدات الشعبية التي تجسد الطقوس التي تترجم سلوكاً معيناً يؤديه الإنسان، وقد تصاحب هذه الطقوس والممارسات ايماءات وحركات يصعب تسجيلها وكذلك شعائر وتراتيل يمكن تدوينها.

فالأدب الشعبي وعاء لكل تلك الشعائر والتراتيل والأهازيج والأراجيز والأمثال والأساطير والقصص والحكايات التي تتعلق بالطفل وتشمل المعتقدات الشعبية التي تتعلق بتنشئة الطفل وتربيته وحالاته في الصحة والمرض. وكذلك الأمراض التي يتعرض لها خلال مرحلة الطفولة.

Résumé de recherche

Les croyances des gens sont une partie importante du folklore et la littérature, et ont la forme de littérature orale dans la délivrance des mères et grands-mères chanceux pilier fondamental pour la survie de ce patrimoine et la sauver de l'extinction.

D'où l'importance de l'étude de préserver ce patrimoine et sa codification, documentés et étudiés, cette étude sont à la recherche pour: comment investir l'expérience accumulée populaire à travers les générations dans le traitement avec le bébé et le bébé?

Quelles sont les attitudes morales qui sont énoncés dans l'enfance par les croyances populaires et les maladies subies par l'enfant?

Pour répondre à la problématique étude nous approchions de l'entrée dans les croyances populaires et supprimé l'ambiguïté du terme et ensuite nous partons à la médecine populaire et nous savions.

Dans notre étude, le premier chapitre coutumes Vtnolna et traditions en compte dans l'éducation de l'enfant, et a grandi avec le support des principales stations dans la vie de l'enfant et la mère ensemble, y compris: la grossesse, la naissance, nommer un enfant, et pour célébrer, ainsi que les croyances concernant les enfants et circoncis. Nous avons appuyé toutes les chansons folkloriques exemples.

Dans notre étude, le deuxième chapitre, nous avons examiné la maladie infantile des pratiques de guérison folklorique spéciale, la plus importante des opérateurs ainsi que les méthodes et techniques et rituels magiques dans ce type de traitement.

Nous avons abordé, ainsi que les maladies courantes de l'enfance chez les enfants and've inclus sorts et incantations qui expulsent le mauvais œil et la présomption qui causent la maladie et les blessures de l'enfant, puis nous sommes passés à l'image de chacun de la médecine traditionnelle et de l'enfant dans les proverbes.

Les idées qu'il croit en la personne physique est l'une des croyances populaires qui incarnent un certains rituels qui se traduit Adi comportement humain, et ces rituels et pratiques associées aux gestes et mouvements sont difficiles à enregistrer, ainsi que les hymnes et les rituels peuvent être enregistrées.

La littérature est pot populaire de tous ces rituels, des hymnes et des chansons et Aleragiz et proverbes, légendes, histoires et anecdotes qui se rapportent à l'enfant et comprennent croyances populaires concernant l'éducation de l'enfant et son éducation et les situations en matière de santé et de la maladie. Ainsi que les maladies qui sont exposés pendant l'enfance.

بحمد الله